# مفاهيم الكتاب المقدس الرئيسية

ديفيد جودينج
و
جون لينوكس

تم إصدار هذا الكتاب في معهد عمواس للكتاب المقدس الذي تأسس عام ١٩٧

# مفاهيم الكتاب المقدس الرئيسية

ديفيد جودينج و جون لينوكس

**© جميع الحقوق باللغة العربية محفوظة**

**لمعهد عمواس للكتاب المقدس**

**ديسمبر - كانون أول ٢٠١٦**

**ISBN -٩٧٦**

لا يجوز إعادة إصدار أو نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأية وسيلة كطباعة على الورق أو في صفحات الإنترنت أو حفظه ألكترونيا أو بالتسجيل الصوتي أو بأية طريقة أو وسيلة أخرى بدون إذن خطي من أصحاب الحقوق. نسمح بإقتباس أجزاء قليلية منه للتدريس والوعظ على أن يشار للمصدر.

# لمحتويات


| الفصل | العنوان | الصفحة |
|---|---|---|
| | مقدمة الطبعة الأولى ـ | ٤ |
| | المقدمة الكتاب | ٦ |
| ١ | القداسة: | ٧ |
| ٢ | جلال الله، طهارتة، جماله ومحبته | ١٥ |
| ٣ | الخطية: المرض، أعراضه والعلاج منه | ٢٣ |
| ٤ | المصالحة: الطريق إلى السلام | ٣١ |
| ٥ | التبرير: جعل الأمور في نصابها الصحيح قانونياً | ٣٩ |
| ٦ | الفدية والفداء: ثمن الحرية | ٤٧ |
| ٧ | الحياة الأبدية: في الحاضر والآن | ٥٥ |
| ٨ | التوبة: أكثر من أن تكون معتذراً | ٦٢ |
| ٩ | الإيمان: ليس قفزة في الظلام (الجزء ١) | ٧١ |
| ١٠ | الإيمان: تجاوب مع أدله (الجزء ٢) | ٧٧ |
| ١١ | الإيمان: تجاوب مع أدله (الجزء ٣) | ٨٥ |
| ١٢ | الإيمان: السؤال بمن تثق؟ (الجزء ٤) | ٩٣ |
| ١٣ | التقديس: كما الأب، كذلك الابن (الجزء ١) | ١٠١ |
| ١٤ | التقديس: بنوة وليس عبودية (الجزء ١) | ١٠٩ |
| ١٥ | الدينونة النهائية: مطالب العدل (الجزء ١) | ١١٧ |
| ١٦ | الدينونة النهائية: صلاح الله وصرامته (الجزء ٢) | ١٢٥ |
| ١٧ | الخلاص: والمفهوم الشامل العظيم | ١٣٣ |

# مقدمة الطبعة الأولى

يتكون هذا الكتاب من مجموعة من المقالات التي ظهرت للمرة الأولى في صحيفة للمعلمين ناطقةً باللغة الروسية وإسمها (Uchitelskaya). وقد طلب منا بعض الأصدقاء بعد أن وجدوا فيها إفادة روحية لهم، بالسماح لتظهر في اللغة الإنجليزية بحيث تكون متاحة لجمهور أوسع. فأعدنا مراجعتها وقدمنا بعض التغييرات الطفيفة على شكل ومحتوى المواد. وعلى القارئ أن يضع في إعتباره من وقت لآخر، حقيقة أنها مكتوبة للمعلمين الروس. و مع ذلك، فنحن على ثقة فى أنها ستكون مفيدة لكثير من الحالات في عالمنا الناطق باللغة الإنجليزية.

# تمهيد للمؤلِفَين

نظراً لإهتمام وزارة التربية والتعليم الروسية فى المحافظة على الصحة الأخلاقية لأطفال المدارس في جميع أنحاء روسيا، فقد ألح علينا رئيس تحرير صحيفة (Uchitelskaya) الخاصة بالمعلمين في عام ١٩٩٣، وذلك بناءًعلى الحاجة الملحة لمساعدة المعلمين فى وضع نظامٍ موثوقٍ وجذابٍ للقيم والمسؤوليات الأخلاقية أمام تلاميذهم، وقد شعر أنه بدون نظام كهذا، قد يضيع جيل كامل من أطفال المدارس فى إدمان المخدرات، والكحول، والعنف.

وبناءً على إقتراحه، نشرنا في صحيفة (Uchitelskaya) خلال العامين التاليين، سلسلة مكونة من اثنين وأربعين مقالاً تحت عنوان عام هو «الكتاب المقدس والتعليم الأخلاقي فى المدارس». وهذة المقالات لم تكن تهدف لسنٍ معينٍ أو لفئةٍ معينةٍ من التلاميذ. بل بدلاً من ذلك، تم تهيئتها لكى تُقدِّم للمدرسين مجموعةً واسعةً من المواد الأساسية من الكتاب المقدس، جنباً إلى جنب مع الأفكار الحياتية للتوضيح والتطبيق على حالاتٍ عمليةٍ. ويمكن للمعلمين أن يُكَيِّفوا هذه المواد طبقاً للإحتياجات العمرية الخاصة بتلاميذهم.

وقد كانت الإستجابة مشجعةً للغاية. فقد كتب آلاف المعلمين من جميع أنواع المدارس والمعاهد والجامعات معبرين عن إمتنانهم لهذه المواد وقالوا إنهم وجدوا فيها مواضيع ذات فوائد كبيرة تصلح كمواد خام في تحضيراتهم لدروسهم الخاصة.

وليس فقط المعلمين المهنيين، ولكن العديد من الأشخاص الآخرين، والمهتمين على

حد سواء في دراسة الكتاب المقدس بشكل منهجي وتدريسه في العديد من المجالات المختلفة، كتبوا لنا يخبروننا بأنهم قد وجدوا فى هذه المقالات مواد مُحَفِّزةً ومفيدةً.

وبدافع من هذه الإستجابات ومن التساؤلات الناشيءةِ من مراسلات قراء الصحيفة، شرعنا في عام ١٩٩٥ في تقديم سلسلة أخرى من المواد، وفي العامين التاليين ظهرت هذه المقالات السبع عشرة تحت عنوان «مفاهيم الكتاب المقدس الرئيسية». وقد تعاملت هذه المقالات مع المصطلحات التقنية التي يستخدمها الكتاب المقدس من أجل تحديد العقائد الأساسية. حيث يوجد في الكتاب المقدس قدرً كبيراً من الشعر، وقد تتفاوت إستجابات الناس للشعر بوسائل عاطفية و خيالية متراوحة. ولكن عندما يتعلق الأمر بالعقائد الأساسية، فإن الكتاب المقدس يعبر عنها بمصطلحات تقنية مختارة بعناية والتي لابد من تفسيرها وفهمها بدقة، كما تفعل المصطلحات التقنية في أي مجالٍ آخر. وهدفنا النهائي هو مساعدة القُرَّاء للتوجه لهذا الفهم الدقيق، والذى بدونه سيكون الفكر الأساسي للعهد الجديد ضبابياً و غامضاً.

وكانت الإستجابة من القراء لهذه المواد أيضاً أكثر تشجيعاً بدورها. وبالتالي، لجعل هذه المواد متاحةً لجمهورٍ أوسعٍ وبشكلٍ أكثر دواماً، قمنا بجمعها في هذا الكتاب. ولكن النسخة الأولى لهذه السلسلة من المقالات قد ظهرت بالفعل تحت عنوان «الكتاب المقدس والتربية الأخلاقية».

ونحن على ثقة أن كلاً من هذه الموضوعات سيكون مفيداً للراغبين في فهم وإيصال الرسالة الخالدة للكتاب المقدس في هذا العالم الحديث.

ديفد جودنج وجون لينوكس

فبراير - شباط ١٩٩٧

# مقدمة الكتاب

لا يمكن لأحد أن يَدَّعي أنه مُتعلِمٌ بالحق دون إطلاعه ببعض المعرفة على الكتاب المقدس الذي كان ولا يزال، له تأثير بالغ على العالم أجمع. فقد كان أول وأكثر كتاب طُبِع في أي وقت مضى، والأول في إنتشاره بترجماته المختلفة (منذ الترجمة اللاتينية التي طُبعت في أول مطبعة في غوتنبرغ- ماينز، ألمانيا، عام ١٤٥٥). وتمت قراءته - أكثر من أي كتاب آخر من قبل أكبر عدد من الناس، ونُشِر بكل اللغات.

ولكن عندما نبدأ بقراءته، سنواجه بعض الكلمات والمفاهيم التي قد لا نستوعبها، حتى وإن بدت لنا أنها مألوفة، وسنعبر عنها على الفور دون إدراك مضمونها لأنها تُستَخدم كالمصطلحات التقنية. وهذا لا ينبغي أن يُخَفِّف من شغفنا بالكتاب المقدس بل بالعكس ينبغي أن يزيدنا شغفاً. ولأننا في هذا العالم الحديث، علينا أن نتعلم، إن عاجلاً أم آجلاً، معاني بعض المصطلحات التقنية في مجال أو أكثر من مجالات المعرفة، حيث أنه في فهم هذه المصطلحات ستدور إهتماماتنا الحقيقية. فمثلاً، الفتاة التي تريد أن تكون طبَّاخةً ماهرةً، يجب أن تتعلم الفرق بين مصطلحات كالتحميص، والشوي، والقلي، والسلق، والغلي. وما هي العملية التي ستستخدمها مع بعض الأطعمة وما الفرق بين تلك العمليات.

كذلك الفتى الذي يَهدف لأن يكون مهندساً للسيارات، يجب أن يعرف ما هو المكبس، والكاربيراتير، والإسطوانات. وما الفرق بين محرك البنزين ومحرك الديزل، وما هو الكلتش، والتروس، والمسرعات، وكيفية عمل كلٍ منها. وعندما نرغب أو نضطر أن نتعلم كيفية إستخدام جهاز الكمبيوتر لأي سبب من الأسباب، فإننا سنواجه مجموعة كبيرة من المصطلحات التقنية، والتي سنكون بحاجة لفهمها وإتقانها. وكما هو الحال في أي مجال آخر، كذلك يجب علينا الإلمام بالمصطلحات التقنية للكتاب المقدس والتي ستؤدي ليس فقط إلى فهم أعمق عند استيعابها، ولكن أيضاً إلى زيادة القدرة على توصيل معناها إلى الآخرين خاصةً لتلاميذنا وشبابنا، مما يفتح لهم نافذة على عالم جديد كلياً.

لذا في هذه السلسلة من المقالات، وبينما نحن ندرس هذه المصطلحات التقنية، وجدنا أنه من الواجب علينا في هذه المقدمة، أن نقوم بعمل مسح مختصر وإستعراض سريع لما نعتزم تغطيه.

# ١

# القداسة

والمكان المنطقي للبدء هو مع الله، وحيث أن أحد أهم المصطلحات التي نصف بها الله هي أنه «قدوس»، لذا وجب علينا البدء به. ومع ذلك، فقد نواجه اعتراضَ قائلٍ: «أنا لا أؤمن بالله»، وثانٍ يقول: «أنا لست مهتماً بقداسته، أياً كان ذلك يعني». وثالث يقول: «أنا أعيش حياتي دون الإعتراف بأي إلهٍ أياً كان».

حسناً، هذه التصريحات والادعاءات مثيرةً جداً للإهتمام. أولهما وثانيهما ذو مصداقية بالتأكيد، ولكن نادراً ما يكون الثالث صحيحاً. لأن ثقل التجربة الإنسانية على مدى قرون من التاريخ يقف ضده. وبالطبع يتوقف الأمر على ما الذي نعنيه بكلمةِ «إلهٍ». فقد قرر الكثير من الناس على مر العصور ما قرره نيتشه (Nietsche) أن: «الله قد مات»، وكثيرون قرروا أن يُبعِدوا عن أذهانهم الإيمان في الله الواحد الحقيقي. وإلى حد ما نجحوا، ولكن بثمنٍ. بعد ذلك وجدوا أنه من المستحيل عملياً أن يعيش الإنسان فكرياً أو عاطفياً في عالم ليس فيه إله. لكنهم بقصد أو بدون قصد، حاولوا إبدال فكرة الله الواحد الحقيقي بأنواع كثيرة من آلهةٍ بديلةٍ.

**من المستحيل عمليًّا أن يعيش الإنسان فكريًّا أو عاطفيًّا في عالم ليس فيه إله**

حتى أن أكثر الملحدين جرأة لا يمكنهم تجنب تلك القوى التي أتت بهم وبالكون إلى الوجود، وتلك القوى التي ستدمرهم في نهاية المطاف مع الكون على حد سواء. وهم ربما لا يسمونها «آلهة»، بل وربما يدعونها كذلك، على أن قناعتهم هي أن هذه القوى هي التي تتحكم فيهم في نهاية المطاف، ويرفض الإلحادي فكرة وجود الشخص الخالق، ويخلص إلى فكرة أن قوة عمياء وبلا وعي ولا شخصية هي المسؤولة عن وجوده وعن هذا الكون. وبالتالي فهو يدمر كل أملٍ في أن يكون هناك أية هدفٍ من وراء وجوده. ولكنه بعد ذلك يكتشف أنه لا يمكن أن يوجد فقط دون أى قصد يعيش لأجله، ودون أي شيء أكبر منه ليؤمن به، ودون أي قيمةٍ عُليا يُكرِمها، ودون أي سببٍ يجعله يُكرِّس

نفسه له، وإذا لزم الأمر، يُضحِّي لأجله. وحيث أنه لا يمكنه أن يعيش ويخدم الله الواحد الحقيقي، فقد أبتكر أغراضاً أخرى أقل وأهدافاً يبدو بعضها عظيماً ونبيلاً وبعضها بسيطاً وحقيراً جداً. وهو قد لا يدعوها «آلهة» وقد يدعوها كذلك، لكنه سيأتي إلى نفس الشيء في نهاية المطاف.

وعلى مدار التاريخ جعل الناس من الجنس إلهاً (دعاها الإغريق أفروديت)، وجعلوا الخمر إلهاً (دعاه الإغريق ديونيسوس أو باخوس)، وإله الحرب (أَتَذكُر الحرب التوتونية والآلهة التي ألهمت الألمان من القدم؟)، وإله المال، واللذة، والشهرة، وإله الدولة أو حتى إله أنفسهم (كما فعل العديد من الحكام المستبدين). وفي مواجهةٍ مع تقلبات الحياة غير المحسوبة، غالباً ما يقرر الإلحاديون لرجل الشارع أن كل شيء يحدث معه هو عن طريق الصدفة. فعندما يشتري أحدهم تذكرة اليانصيب فهو يأمل أن صدفةً أو فرصةً ستبتسم له. وقد أعتقد كثير من اليونانيين القدماء نفس هذه الأشياء وصنعوا لها إلهة، ودعوها «تايكي». وهكذا يرى من بعض أنصار التطور القديم والحديث، أن الصدفة هي المسؤولة في النهاية عن ظهور البشر على وجه الأرض. وأتخذ آخرون رأياً مخالفاً، وهو أن البشر ماكينات تم تحديدها سلفاً، وأن الإرادة الحرة هي وهم. فقد كانت للعالم القديم تسمية لذلك أطلقوا عليها «المصير»، وجعلوا حتى من تلك أيضاً إلهاً.

وأظهرت القرون الماضية خبرةً في أن السؤال ليس ما إذا كنت ستؤمن بالله أو لا، ولكن ما إذا كنت ستؤمن بالله الواحد الحقيقي الذي يدعي أنه صنعك أو أنك ستؤمن في واحدة أو أكثر من هذه الأشياء الأخرى التي جعلت منها آلهة بديلة.

إذاً، سنبدأ في دراسة ما يعنيه الكتاب المقدس عندما يتحدث عن قداسة الله الواحد الحقيقي، وذلك حتى يجد الملحد إفادة في مقارنة شخصيته وصفاته وهو متمسك بتلك الآلهة البديلة.

## الخطية

بطبيعة الحال، بمجرد قبولنا إحتمال أننا البشر قد خُلِقنا من قبل إله وهو شخص قدوس، فلن يطول الأمر حتى نجد أن مسألة الخطية (وهذا هو المصطلح التقني الثاني) ستدفع بنفسها بقوة في نقاشاتنا. الآن يقف جميع الأشخاص الأصحاء عقلياً، جنباً إلى جنب في

مكافحة الجريمة والإرهاب، ولديهم شعور أنه يجب التعامل معها بعدلٍ وبحزمٍ شديدٍ. ولذلك نجد سجون ومؤسسات للطب النفسي. ولكن المجرمين لا يشكلون إلا نسبة ضئيلة من مجموع السكان. والأكثر أهمية هو حقيقة أن كل عضو من المجتمع بدرجة أقل أو أكبر، هو معيب من الناحية الأخلاقية. إذ لا يوجد شخص واحد على وجه الأرض كامل من الناحية الأخلاقية. وبالتأكيد يتسبب المجرمون في الكثير من الضرر والضيق. لكن الشخص العادي، يعاني أيضاً أكثر بكثير من بؤس الأنانية، وسوء المزاج واللامعقولية التي تضع صعوبات في العيش حتى مع أفضل الأصدقاء في بعض الأحيان، ومن الخيانة، ناهيك عن القسوة النفسية والعنف الجسدي الذي يمزق الأسر، ويؤدي إلى الطلاق، والهلع في نفوس الأطفال. وإليك الدرس السهل الذي نستوعبه من التاريخ، والذي عانى منه سكان العديد من البلدان على مدى قرون عديدة، عن الوعود المكسورة من القادة السياسيين والفلسفات الكاذبة وإضطهاد الطبقات الحاكمة لشعوبهم. الأمر الذي ربما تجاوز عن حد مضايقات المجرمين الذين ألقت بهم تلك الحكومات في السجن.

**لا يوجد شخص واحد على وجه الأرض كامل من الناحية الأخلاقيَّة**

إذاً، كيف تم هذا، فنحن جميعاً، وبلا استثناء، معيبين من الناحية الأخلاقية. هل نُلقِي بالأسباب على جيناتنا، ونقول أننا لا نستطيع عمل شيءٍ، ونتملص من كل مسؤولية تجاه سلوكنا، ونُحَوِّل أنفسنا إلى مجرد آلات؟ أليس هذا ما نفعله أحياناً؟، وما لم نتوصل إلى تشخيص ملائم وصحيح إلى ما هو مصدر هذا الخطأ الأخلاقي الحادث معنا نحن البشر، فنحن ليس لدينا أمل واقعي في التحسن، ناهيك عن العلاج.

وبالتالي، يجب علينا أن نفحص في الكتاب المقدس عن تشخيص ما هو الخطأ مع البشر. «الخطية» هي المصطلح العام المستخدم للدلالة على السبب الجذري للمرض نفسه وتداعياته المختلفة. ولكن المصطلح العام «الخطية» يتضمن العديد من العناصر التي يدلل عليها الكتاب المقدس بمصطلحات خاصة والأعراض التي تنتج عنها في الأفراد هي بالمثل يُعطى لها تسميات مختلفة. وبالتالي يجب علينا، دراسة كل الأسباب الجذرية والأعراض، بحيث نكون في وضع يُمكِّنُنا من الحكم على مدى واقعية المخطط

الذي يقترحه الكتاب المقدس من أجل التعامل مع هذا المرض والأعراض الناتجة عنه.

**الخلاص**

والمصطلح العام في الكتاب المقدس لهذا المخطط هو ما يسميه، «الخلاص». ولكن هذا المصطلح سيتطلب دراسة متأنية ومفصلة، لأنه ليس من قبيل المبالغة أن نقول إن الفكرة الشائعة عن ما يعنيه العهد الجديد من كلمة «الخلاص»، هو على العكس تماماً من حقيقة ما تعنيه الكلمة وذلك في نواحٍ حاسمةٍ ومصيرية يتضمنها المعنى.

ولأن الفكرة الشائعة عن الخلاص مختزلةً في موعظةً لتعيش حياة أخلاقية لائقة، أو لتحسين السلوك اليومي لشخصٍ ما، وهي مقدمةً برجاءٍ غير مؤكد بالذهاب للسماء، كل هذا إلى جانب التخويف من أن ينتهي به المطاف في الجحيم. المشكلة هي أنه لكثير من الناس تبدو الفكرة بديهيةً وصحيحة. وكما يقولون، إذا كنت تسير إلى السماء، فمن الواضح أن عليك أن تكون صالحاً. وإذا لم تكن صالحاً، فواضح أنك لن تصل إلى السماء. وكم هي متأصلةً وعميقةً جذور هذه الفكرة في عقولهم حتى أنهم لا يشعرون بالحاجة إلى قراءة العهد الجديد لمعرفة ما يخبرهم به. إنهم ببساطة يفترضون أن الكتاب سيقول لهم ما يتوقعونه من أفكار.

**الخلاص هو عملية إنقاذ فيها يتدخَّل الله لأولائك الذين لا يمكنهم إنقاذ أنفسهم**

لكن الحقيقة هي أن العهد الجديد يُعَلّم عكس ذلك مباشرة. المصطلح الكتابي «الخلاص» ليس مجرد إسم لمدلول أخلاقي علينا الحفاظ عليه لكسب القبول عند الله ولكسب مكان في السماء. لكن «الخلاص» يعني بالضبط ما تقوله الكلمة. هي عملية إنقاذ فيها يتدخل الله لأولئك الذين لا يمكنهم أبداً إنقاذ أنفسهم، وتُظهر كيفية تحقيق ذلك. إنها ليست نصيحة بشأن كيفية عمل الصلاح بما فيه الكفاية للتأهل للسماء. فالعهد الجديد يعلن مراراً وبوضوح أن الخلاص ليس من أعمالنا، بل هو عطية من الله لأولئك الذين لايمكنهم دفع أو إستحقاق ذلك الخلاص.

**إعلان الخلاص**

وهذا يُفسر الكلام الذي يستخدمه العهد الجديد (والذي سنقوم بدراسته في وقت

لاحق) لوصف المصطلحات المختلفة في مفهوم الخلاص. فكلمة «فِدية» هي واحدة منها، وهي تدل على الثمن الذي دفعه الله بالفعل- وليس الذي علينا أن ندفعه- لأجل تحريرنا من كل عبودية أخلاقية أو روحية. وكلمة «تبرير»هي مصطلح آخر. وهي أيضاً بنعمة الله وليست من أعمالنا أو أستحقاقنا. وتأثيرها يتضمن نقل وضعنا إلي المكان الصحيح مع الله وتعطينا السلام معه هنا والآن.

لذلك، وبعيداً عن الحاجة إلى أن نعيش حياتنا في يقين بشأن ما إذا كنا بعد الموت سنكون مقبولين عند الله أم لا، يمكن للشخص «المتبرر» أن يعيش حياته في ثقة وفرح في أنه بالفعل مقبول من الله. و»المصالحة» هي كلمة أخرى يجب علينا دراستها أيضاً، فإنها تؤكد على هذه الحقيقة أن ما قام به المسيح هو لإحداث مصالحة كاملة بين الله والإنسان، بحيث يمكننا، هنا والآن في هذه الحياة، أن نُقبِل إلى السلام والشركة مع الله.

**إنّ ما قام به المسيح هو لإحداث مصالحة كاملة بين الله والإنسان**

وهذا من شأنه أن يقودنا، هنا والآن، إلى التمتع بالحياة الأبدية. وخلافاً للرأي الشائع، فإن «الحياة الأبدية» ليست هي الحياة التي يدخل إليها الناس بعد الموت. بل هي الحياة التي يمكن أن ندخل فيها ونستمتع بها هنا في هذا العالم، ونحن نحتاج إلى الدخول فيها من الآن، وإلا فلن يمكننا أبداً الدخول فيها في العالم الآتي.

ولكن الكثير من الناس، عندما يسمعون شخصاً يحدد عقيدة العهد الجديد للخلاص بهذه الطريقة، يشعرون أن هناك خطأ واضح إن لم يعتبروه سَخَفاً. لأنهم يدَّعون أنه لو لم يكن الخلاص مكافأة لعمل تم بشكل جيد، ولكن مجرد هدية تُعطَى للناس بغض النظر عن ما إذا كانوا قد فعلوا الخير أم لا، فقط لمجرد أنهم يدّعون أنهم مؤمنون، فهذا التعليم يقوض كل جهود صادقة في تحسين الذات. ولاشك في أنهم محقون في ادعائهم، فإنه إذا كان لشخص ما أن يكون متأكداً تماماً أنه قد خَلُص بالفعل «بالإيمان وليس بالأعمال»، هذا يعني أنه يمكن أن يعيش بقية حياته بطريقة غير مسؤولة أخلاقياً، ومازال يتوقع الخلاص في نهاية الأمر، وهذه سخافة أخلاقية.

الآن تقف هذه الإعتراضات التي لا يمكن إنكارها ولها قوة سطحية مؤكدة، ولكنها

تستند إلى مفهوم خاطئ وهي تختفي عندما يفتح أحدهم العهد الجديد ويدرس إعلانات الله الحقيقية. إذ لا يوجد كتاب على وجه الأرض يصر على القداسة أكثر من العهد الجديد. لذا سيكون لدينا دراسة عن «القداسة»، تهدف إلى أكتشاف ما يعنيه العهد الجديد من هذا المصطلح، وما الذي نعتبره الدافع الوحيد المقبول لنكون قديسين (وهذا هو السبب، بل إنه يؤكد، أن الخلاص يجب أن يكون عطية وليس شيئاً نشتريه بمال لنكون مقدسين)، وما هي القوة التي تقدم للناس حتى يعيشوا حياة الصلاح الحقيقي وتصبح واقعاً معاشاً.

## شروط الخلاص

هذه القوة، كما يقول العهد الجديد، هي متاحة بشرطين، أولهما «التوبة». ومعنى هذا المصطلح قد يبدو واضحاً. ومع ذلك سنجد أنه بحسب العهد الجديد، غالباً ما يحمل هذا المصطلحُ معنىً مختلفاً كثيراً عن الكلام اليومي الدارج.

والشرط الثاني هو «الإيمان». ولكنهُ كما يشعر كثير من الناس، نقطة ضعف قاتلة في المسيحية. كما يقولون: «في الدين: كل شيءٍ يتوقف على هذا الإيمان، في حين أن العلم يتعامل مع الحقائق. وبالتالي فالعلم له أساس متين. يمكن إثبات حقيقتة. أما المسيحية لا يمكن أن تثبت حقيقتها، وبالتالي لا يوجد أساس موثوق فيه على الإطلاق».

ولكن مثل هؤلاء الناس نسوا أن العلم في حد ذاته يعتمد أساساً على الإيمان، وأن العديد من النظريات والتفسيرات الحالية للكون لا تستند على حقيقة مؤكدة ولكن على افتراضات العلماء الفلسفية. وينسون أيضاً أن جميع العلاقات الشخصية يجب أن تقوم في النهاية على الإيمان. وحيث أن إله الكتاب المقدس هو شخص وليس قوةً لاشخصيةً، فإن علاقتنا معه يجب بالضرورة وبحق أن تقوم على أساس الإيمان. والسؤال الحقيقي هو: ماذا يعني العهد الجديد بكلمة «الإيمان»؟ أمر واحد سنجده بالتأكيد عند البحث هو أنه لا يعني الإعتقاد الأعمى في شيء دون أي دليل. لذا يُقدِّم الكتاب المقدس الأدلة الوفيرة التي على أساسها نبني إيماننا.

**إنّ العلم في حدّ ذاته يعتمد أساساً على الإيمان**

## الدينونة النهائية

وأخيراً، سنحقق في ما يعنيه الكتاب المقدس «الموت الثاني». أو إلى ما نشير إليه في اللغة الدارجة بما يسمى «الجحيم». وكلمة «الجحيم»، لكثير من الناس، تستحضر صوراً للشياطين وهم يقيدون الناس إلى أسفل الفرن، وهم يرفضون المفهوم كله كأنه خرافات بدائية. وغني عن القول، هذا المفهوم هو بعيد كل البعد عن ما يعنيه العهد الجديد بكلمة «الموت الثاني». وبالطبع يُعلمِّنا الكتاب المقدس بشكل إيجابي أن الله لابد وأن يعاقب على الخطية، ليس فقط لأنه قدوس غير متهاون وعادل، ولكن أيضاً لأنه يحب للمنتهى. لا يجوز لأي شخص مسؤول أخلاقياً في مجتمع متحضر أن يُجرِم ويُسمَح له بالعفو دون عقاب. الله يحمل نفس وجهة النظر حول الخطية.

في هذه المقالات سوف لا نستشهد بمقاطع طويلة من الكتاب المقدس إلا أننا سنقدم شواهد. ونود أن نشير إلى أنه سيكون من الجيد البحث في كل الشواهد، إقرأها بصوت عالٍ، وتأمل كيف أنها تدعم النقاط التي وردت في الكتاب.

# ٢

# جلال الله، طهارته، جماله ومحبته

لا أحد ينكر أن الكثير من الناس لديهم تصورات غير مرحب بها عن الله، وأن أي ذكر لقداسته يعتبر تهديداً. الله بالنسبة لهم إله غاضب، طاغية، عز وجل. وهو مصمم على تقييد حرية الإنسان وحرمانه من متع الحياة كاملة. لذلك هم يقولون لأنفسهم أن فكرة وجود الله هي من مخلفات إنسان ما قبل العلم، وهم يحاولون إبعاده من عقولهم (ولن يتمكنوا من ذلك).

ولكن كل ذلك لهو في تناقض صارخ مع الطريقة التي يفكر بها الناس في الكتاب المقدس عن الله. فهم يصفون الله كمن هو فرحِهم المتزايد (مزمور٤٣:٤)، وهم يذيعون بحماس وأبتهاج فضائله. وبالطبع يتحدثون عن مخافة الله، بمعنى توقيره والوقوف بإجلال أمامه. ولكن مثل هذه المشاعر والعواطف لا تعني الإرتعاد – أى رد فعل يائس لعبيد خائفين - لكنها استجابة صحية لمخلوقات ذكية وهم يقابلون جلال، وقوة، ونقاوة خالقهم سبحانه وتعالى. حتى العلماء الملحدين، أحيانا يخشعون أمام جمال الكون المطلق والأبداع، والتعقيد في تفاصيله. ويالدهشة وخشوع الآباء والأمهات من الكمال الذي لطفلهما الرضيع حديث الولادة ذو الأصابع الصغيرة، المغطاة بالأظافر الدقيقة! فإنه بالتالي، ليس من المستغرب العثور على رجال ونساء في الكتاب المقدس يدعون بعضهم البعض بحماس لعبادة الرب بسبب جمال قداسته (١أخبار١٦:٢٩).

**ليس من المستغرب العثور على رجال ونساء في الكتاب المقدس يدعون بعضهم البعض بحماس لعبادة الرَّب**

### علاقة الله مع الخليقة

إذاً، قداسة الله هي- في المقام الأول- وسيلة لوصف علاقة الخالق بالكون وجميع مخلوقاته، التي تشمل البشر. وهي تشير إلى أن:

١. الله يقف متميزاً ومنفصلاً عن الكون. إنه ليس جزءاً من مواده الأساسية. وإنه

ليس أحد قواته: إنه ليس حتى أكبر تلك القوات. هو خالق الكون، لا أحد ولا شيء خلقه. فقد أخبرنا الله أنه كان موجوداً قبل الكون وبصورة مستقلة عنه: «هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ» (كولوسي١:١٧). وأخبرنا أنه الحامل، والضامن، والمتحكم في الكون، ولا يحمله أحد (أنظر إشعياء٤٦:١-٧). وقال أنه ليس هو الإله الأعلى في التسلسل الهرمي للملائكة (على الرغم من أن الوثنيين قد يتحدثون أحياناً عنه بهذه الطريقة). فالملائكة والله ليسوا في نفس الفئة. هم مخلوقات، وهو الخالق. «لَيْسَ قُدُّوسٌ مِثْلَ الرَّبِّ، لأَنَّهُ لَيْسَ غَيْرَكَ» (١صموئيل٢:٢).

٢. الله هو الخالق الوحيد للكون. الله لم يفوض خلق الكون والجنس البشري - كما تقترح بعض الأديان - إلى إله أقل شأناً أو وكيل. «وَكَانَ الْكَلِمَةُ اَللهَ. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ» (يوحنا١:١-٣). المسألة ليست أن البشر والكون هم بعض منتجات من الدرجة الثانية مخلوقين من بعض آلهة من الدرجة الثانية. بل لديهم كرامة إذ قد تم خلقهم بفعل متعمد ومقصود من الخالق الوحيد لكل الأشياء

«هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ وَجَابِلُهُ...أَنَا صَنَعْتُ الأَرْضَ وَخَلَقْتُ الإِنْسَانَ عَلَيْهَا. يَدَايَ أَنَا نَشَرَتَا السَّمَاوَاتِ، وَكُلَّ جُنْدِهَا أَنَا أَمَرْتُ...لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: خَالِقُ السَّمَاوَاتِ هُوَ اللهُ...أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ». (إشعياء٤٥:١١و١٢و١٨).

٣. الله، كخالق للإنسان، له الحق الوحيد للعبادة من قلب الإنسان. والإنسان لم يخلق فقط من الله، لكنه خُلق لأجل الله.

وَلاَ تَزَالُ نَهَارًا وَلَيْلاً قَائِلَةً: قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، الرَّبُّ الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي... أَنْتَ مُسْتَحِق أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ» (رؤيا٤:٨-١١). «الرَّبَّ إِلهَكَ تَتَّقِي، وَإِيَّاهُ تَعْبُدُ، وَبِاسْمِهِ تَحْلِفُ» (تثنية ٦:١٣).

**الله كخالق للإنسان فهو الوحيد له الحقّ للعبادة في قلب الإنسان**

هنا تكمن كرامة الإنسان ومجده. ليست حياة الإنسان وعمله هُم سخافةً أو عبثاً كما يُعلّم الفلاسفة الوجوديين. إذ فعل مشيئة الخالق هو الهدف الوحيد الكافي لشبع وإرضاء عقل وعواطف، ومساعي الإنسان.

هنا أيضاً تكمن حرية الإنسان. فعبادة أي شخص، أو أي شيء، غير الله دائماً ما يحط ويستعبد روح الإنسان في نهاية المطاف. واجه المسيحيون الأوائل كثيراً من الحكومات الطاغية التي طالبتهم أن يعبدوا رئيس الدولة. ولكن الرسل علموهم ألا يخافوا من الحكومات وأن يُقدِّسوا المسيح الرب في قلوبهم (١بطرس٣:١٤-١٥). وهذا هو ما تم، ففي أعماق قلوبهم، ظلوا دائماً في وعي ويقظة لقداسة ابن الله، من له الحق الوحيد في أن يُعبَد. وفي تذكرهم لقداسته وجدوا الشجاعة لرفض المطالب الوثنية من حكوماتهم الطاغية، وهكذا، على حساب حياتهم، دافعوا عن قضية الحرية لروح الإنسان وفازوا بمصدر حريتهم.

## نور قداسة الله

لكي ندعو الله بأنه القدوس، فهذا أيضاً وسيلة للإشارة إلى نقاء الله المطلق والمهيب. «الرَّبَّ مُسْتَقِيمٌ... وَلاَ ظُلْمَ فِيهِ»، هكذا يخبرنا العهد القديم (مزمور٩٢:١٥). «اَللهُ نُور»، كما يقول العهد الجديد «وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ» (١يوحنا١:٥)، ليس فيه ظلمة لا فكرياً، ولا أخلاقياً، ولا روحياً. لاحظ أنه كما أنه في المجال المادي، الضوء المادي هو الذي يعطي اللونَ إلى الأشياء، كذلك في المجالات الروحية والفكرية والأخلاقية، فإن نور قداسة الله هو الذي يعطي الجمال الكامل والمعنى للحياة. لكن الخطية تفعل معنا العكس: فهي تُعتم ألوان الحياة، تُميت حساسيتها، وتُظلم الذهن، وتُعمي الروح.

**فإن نور قداسة الله هو الذي يعطي الجمال الكامل والمعنى للحياة**

من ناحية أخرى، فإن نور قداسة الله يفضح الخطية. وليس ذلك فقط، فقداسة الله ليست مجرد أمر سلبي، وكأنها عمود مجمد من الثلج الأبيض النقي، بل تُعرب عن نفسها ايجابياً بنشاط في تنفيذ الثواب للأبرار والدينونة على خطية الإنسان.

في بعض الأحيان، تعلِن هذه الدينونة عن نفسها بالطريقة التي فيها جعل الله قوانين الطبيعة تعمل. على سبيل المثال، إذا أصر أحد الرجال واستمر في الشذوذ الجنسي، سيجد أن الطبيعة نفسها تتحول ضده وتدمر جسده، «نَائِلِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ جَزَاءَ ضَلاَلِهِمِ الْمُحِقَّ» (رومية١:٢٧). في أوقات أخرى، قد يسمح الله بكارثة اقتصادية وسياسية لمجازاة أولئك الذين عصوا عليه. وعندما يفعل ذلك، يقول الكتاب المقدس فَ «يتقدس الإله القدوس بالبر»، حيث يقصد بكلمة «يتقدس القدوس»، أنه قدوس بحكمه بإستقامة على الخطية.

في أيام إشعياء النبي، كان الشعب كله مذنبٌ بسبب الظلم والعنف المتفشي، وبسبب الإبتزازالمالي الخالى من الرحمة في المعاملات التجارية، وبسبب الإنغماس في السُكر والإنحرافات المتعمدة للقيم والأخلاق، وبسبب التجاهل والتَحدي الصارخ لله. وبالتالي نجد أشعياء، ليس فقط يدينهم على خطاياهم، بل إنه يحذرهم من أن الله سيكشف عن قداسته وينفذ أحكامه عليهم وسيأتي بالخراب إقتصادياً وإجتماعياً، وسياسياً على الأمة بكاملها:

«وَيُذَلُّ الإِنْسَانُ وَيُحَطُّ الرَّجُلُ، وَعُيُونُ الْمُسْتَعْلِينَ تُوضَعُ. وَيَتَعَالَى رَبُّ الْجُنُودِ بِالْعَدْلِ، وَيَتَقَدَّسُ الإِلهُ الْقُدُّوسُ بِالْبِرِّ...لأَنَّهُمْ رَذَلُوا شَرِيعَةَ رَبِّ الْجُنُودِ، وَاسْتَهَانُوا بِكَلاَمِ قُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ» (إشعياء٥:١٥و١٦و٢٤).

ولكن يجب علينا أن نقترب أكثر. فقداسة الله لا تدين الخطاة الفاحشين فقط. بل ننظر في ضوئها، إلى أن أفضل من فينا، سيظهر بأنه خاطئ. حتى إن إشعياء نفسه عندما رأى الله محاطاً بالجماهير الملائكية التي كانت تصرخ بلا انقطاع: «قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ» (إشعياء ٦:٣)، عندئذٍ طغى عليه شعور حاد بعمق آثامه الشخصية فصرخ:

**«وَيْلٌ لِي! إِنِّي هَلَكْتُ، لأَنِّي إِنْسَانٌ نَجِسُ الشَّفَتَيْنِ،**
**وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجِسِ الشَّفَتَيْنِ،**
**لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ رَأَتَا الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُودِ»**

وهذا بالضبط ما سيشعر به كل واحد منا إذا أصبحنا على بينة من حقيقة قداسة الله. الكذب والنفاق والخداع، والحديث البذيء والإفتراء والسخرية، والمجاملة، جنباً إلى جنب مع جميع الخطايا الأخرى التي تخرج منا فجأة، إنما تعرض الفساد والقبح الذي نحن فيه في الواقع. ويجب علينا أن ندرك ونحن متألمين، حجم الفساد الداخلي الذي لا يمكن أبداً أن يسمح لنا بالدخول إلى السماء، وتلويث وتدنيس جمال السماء.

ولكن تحديداً عند هذه النقطة نلتقي بمفارقة غير عادية في الكتاب المقدس. فإن الأشخاص الذين أختبروا آلام تَعرُضِهم إلى ضوء قداسة الله، فجأةً بدأوا في الحديث

بحماسٍ عن جمال نور الله الرائع. وإليك فقرة نموذجية:

«وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ. الَّذِينَ قَبْلاً لَمْ تَكُونُوا شَعْبًا، وَأَمَّا الآنَ فَأَنْتُمْ شَعْبُ اللهِ. الَّذِينَ كُنْتُمْ غَيْرَ مَرْحُومِينَ، وَأَمَّا الآنَ فَمَرْحُومُونَ». (١بطرس٢:٩-١٠).

ومن الواضح أن هؤلاء الناس قد إكتشفوا أن قداسة الله ليست مجرد قوة سلبية. بل هو قوة إيجابية قادرة بالحب والرحمة على تنقية الخطاة وتحويلهم إلى قديسين.

محبة الله المقدسة

في سفر اللاويين ١٩، يأمر الله أولاً شعبه، «تَكُونُونَ قِدِّيسِينَ لأَنِّي قُدُّوسٌ الرَّبُّ إِلهُكُمْ» (الآية ٢). ثم يشرح لهم بقدر كبير من التفصيل ما يعنيه بالقداسة من الناحية العملية. واحدة من تلك النواحي هو هذا: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. أَنَا الرَّبُّ» (الآية ١٨). وفيها نرى أن القداسة تعني المحبة، والله القدوس هو نفسه فائق المحبة، لأن الله محبة (١يوحنا٤:١٦). ونفس هذه الميزة من قداسة الله تظهر في إعلان اسم الله المقدس والرهيب في الكتاب المقدس (أنظر الخروج ٣٤:٥-٧).

**إنّ قداسة الله قوة إيجابية قادرة بالحب والرّحمة على تنقية الخطاة وتحويلهم إلى قدّيسين**

لذلك، ونحن في نهاية هذا الفصل، سنشير إلى الفلسفات التي تنتهك قداسة الخالق والتي حتماً تضر الإنسان نفسهُ وهي:

الإلحاد: وهو رفض الإعتراف بالخالق، والملحدون دائما ما يصفون تلك القوى العمياء اللاشخصية من الطبيعة على إعتبار انها القوى العظمى التي خلقت، والآن تسيطر على الخليقة وسوف تدمر الكل في نهاية المطاف، حتى الأذكياء وذوي الأخلاق الطيبة. وبالتالي فإن الإنسان ما هو إلا سجين لتلك القوى المادية للكون. وبالتالى تم تخفيض ذكائه، وتم حرمانه من أي سبب أو غرض من وجوده وسلبه من أي أمل ورجاء في أى حياة قادمة.

١. وحدة الوجود: وهي تشير إلى وحدة الله مع الخليقة. هم يُعَلّمون أن الكون هو

الله، والأرض هي الله، والشمس هي الله، والإنسان هو الله، والحيوانات هي الله، كل شيء هو الله. ولكن إذا كان كل شيء هو الله، إذاً هل الشر والخير الأخلاقي هما الله. هذا غير صحيح. عندما خلق الله العالمَ، رأى أن كل ما صنعه كان حسناً (تكوين١:٣١). لا يمكن تحديد الله بالشر الأخلاقي لأنه قدوس. وفي هذه الحقيقة يكمن الرجاء في أن الله سيقهر الشر يوم ما.

إذا كان الشر هو الله، كما يُعلّم أصحاب نظرية وحدة الوجود، فلن يكون هناك أي أمل في قهر الشر. نظرية وحدة الوجود ليست فقط كاذبة، لكنها على الرغم من جاذبيتها السطحية، إلا أنها أسوأ شكل من أشكال التشاؤم.

٢. أشكال مختلفة من تناسخ الأرواح re-incarnationism تتمسك بعض الديانات أو الفلسفات الدينية، أن المادة هي بالضرورة شر في الأساس. ويُعلِّمون أن الله العلي لن يخلق أموراً ماديةً. وهم يقولون، إن ما فعله الله هو أنه خلق آلهة أقل منه، لكن تشبهه، الذين لهم قدرة على الخلق. وهؤلاء بدورهم خلقوا آلهة أقل منهم، وفي نهاية المطاف واحد من هذه الآلهة خلق بطريقة غير حكيمة الكون المادي والبشر. وبالتالي فإن البشر هم خليط مؤسف من الروح (وهو أمر جيد) والمادة (والتي هي شر). المادة تصيب وتدنس الروح، وتجر وتسحب الإنسان إلى سلوكيات شريرة، التي بدورها تقود الشخص الي معاناة لا مفر منها. وإذا لم تنتهِ هذه المعاناة في الوقت الذي يأتي فيه الشخص للموت، فإن روح الشخص يُحكم عليها بإعادة التجسد في جسم مادي آخر. وبعدها، إذا أذنب الشخص الآخر بالمزيد من السلوك الشرير، فإنه سيستمر الحكم على هذه النفس بمزيد من المعاناة وإعادة التجسيد. الأمل الوحيد هو أنه بطريقة أو بأخرى تستنفد الروح كل معاناة، وأن يتم الحفاظ عليها نقية تماماً من مزيد من الخطايا، وعندها تعود النفس إلى الروح النقية العالمية، وعندها تهرب الروح من المزيد من إعادة التجسد في الأجسام المادية.

و هذا المذهب هو تعدٍّ مزدوج على قداسة الله والسبب هو أن:

أ- هناك في الواقع خالق واحد فقط، ولا يوجد أي عدد من الآلهة الأقل التي لها سلطة الخلق.

ب-المادة ليست بالضرورة شراً، ولكنها جيدة في الأساس، وكما رأينا، مشكلة الإنسان لا تنبع من حقيقة أن لديه جسد مادي، ولكن من الإستخدام السيء والخطأ لإرادته الحرة ومن عصيانه لله.

بالإضافة إلى ذلك، فإن هذه العقيدة ليست فقط خاطئة، لكنها قاسية جداً. إنها تُعلّم أنه إذا ولد طفل ولديه إعاقة، فهذا ناتج عن الخطايا التي تم عملها في كل تجسيد سابق. إذاً، بعد كل هذه المرات من التناسخ عبر السنين لروح هذا الطفل المسكين، كيف له أن يتخلص من كل أنواع المعاناة التي ورثها من ذنوب الذين يجسدهم، وأي أمل له في خروج من المعاناة التي سيواجهها في هذه الحياة الحاضرة - ناهيك عن إحتمال أنه سيرتكب المزيد من الخطايا في هذه الحياة وذلك يعتبرونه ضرورة حتمية لمزيد من إعادة التجسيد؟

إذاً، هذا المذهب، هو مَسخ من الكذب والقسوة. لا يمكن للإنسان أن يتخلص تلقائياً من معاناته الشخصية إلاّ فقط من خلال معاناة وآلام المسيح الذي هو:

«مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا» (إشعياء٥:٥٣).

**لا يمكن للإنسان أن يتخلّص تلقائيّاً من معاناته الشخصية إلاّ فقط من خلال معاناة وآلام المسيح**

ولا يحتاج الناس لأن يعيشوا حياتهم في خوف من آلهة أقل غير مسؤولة، وفي بعض الأحيان تكون آلهة حاقدة. بل هناك إله واحد فقط، وهو يحبنا وقدم نفسه كمخلص لنا إذ يقول:

«لاَ يَعْلَمُ الْحَامِلُونَ خَشَبَ صَنَمِهِمْ، وَالْمُصَلُّونَ إِلَى إِلهٍ لاَ يُخَلِّصُ... أَلَيْسَ أَنَا الرَّبُّ وَلاَ إِلهَ آخَرَ غَيْرِي؟ إِلهٌ بَارٌّ وَمُخَلِّصٌ. لَيْسَ سِوَايَ. اِلْتَفِتُوا إِلَيَّ وَاخْلُصُوا يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الأَرْضِ، لأَنِّي أَنَا اللهُ وَلَيْسَ آخَرَ» (إشعياء٤٥:٢٠-٢٢).

«لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ، مُخَلِّصُكَ» (إشعياء٤٣:٣)... «إِلهَ كُلِّ الأَرْضِ يُدْعَى» (إشعياء٥٤:٥)

# ٣

# الخطية

## المرض: أعراضه والعلاج منه

ليس بالضرورة أن يعيش الإنسان طويلاً حتى يكتشف أن هناك شيئاً ما خطأ مع البشر. ومن المؤسف أنه حتى الأطفال سريعاً ما يكتشفون هذه الأخطاء، وذلك عندما يجدون من والديهم، الذين لهم الحق في أن يتوقعوا منهم دائماً الرقة والمحبة، وإذا بهم يجدون منهم تصرفات غير معقولة، ويرون منهم الغضب وإساءة المعاملة. وسوف يكتشفون لاحقاً أن هذا «الشيء الخطأ» لا يقتصر على والديهم وأفراد الأسرة فقط، بل سيجدون أن هناك شيئاً ما خطأ مع جميع الناس في صور مختلفة، وبدرجات أكثر أو أقل.

ويبين لنا التاريخ أن هذا «الشيء الخطأ» مستوطن في كل العلاقات وعلى مستوى العالم كله وبين كل الأعمار دون إستثناء، وحتى اليوم، على الرغم من التقدم الضخم والمفيد في شتى أنواع العلم والتكنولوجيا، فإن هذا «الشيء الخطأ» سريعاً ما يكشف عن نفسه بشكل مخيف في السلوك غير العقلاني. هل تعلم أنه اذا أمكن للدول أن تثق في بعضها البعض وتتعاون بدل من أن تتنافس على تنمية موارد الأرض، فإنه يمكن أن تتحول الأرض إلى جنة!. كما يمكن تحويل الصحارى لتصبح خضراء ومثمرة، ويمكن القضاء على الفقر، والمجاعات، والأوبئة، والرخاء سيعم الجميع والأعمار ستزداد. ولكن لا، لن تفعل الدول ذلك، ولن تتمكن من أن تثق في بعضها البعض، ونتيجةً لذلك نجد بحور من المال، والوقت، والطاقة تُصرف على أسلحة أكثر تطوراً من أي وقت مضى وقادرةً على التدمير.

ولكنها ليست الدول وحدها هي التي تتصرف بطريقة غير منطقية. فجميعنا نفعل ذلك. أنت تفعل، وأنا افعل. عاجلاً أو آجلاً، وعلى الرغم من كل قراراتنا والنوايا الحسنة، فإن علينا أن نعترف بما قاله الرسول بولس منذ قرون، «لأَنِّي لَسْتُ أَفْعَلُ الصَّالِحَ الَّذِي أُرِيدُهُ، بَلِ الشَّرَّ الَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ». (رومية ١٩:٧).

إذاً ما هو الخطأ معنا؟ ما هو هذا المرض العالمى الذي نعاني منه جميعاً؟ لقد حاول الفنانون التراجيديون اليونانيون القدماء أمثال، اسخيليوس، سوفوكليس، يوربيدس

الخوض في دراسة أعراض هذا المرض وحاولوا سبر أغواره. وكذلك فعل الفلاسفة القدماء، وهكذا يفعلون حتى الآن، ولدينا عمالقة في الأدب أمثال دوستويفسكي، وتولستوي، وسولزينيتزن. ومن المؤكد أننا لن نفهم أنفسنا بصدق أو العالم الذي نعيش فيه، ما لم نواجه مرض الخطيَّة بصورة واقعية. يصر الكتاب المقدس ويؤكد بفرح أننا يمكننا أن نجد نجاةً مستمرةً وخلاصاً من هذا الخطأ، ويدعو هذه النجاة بكلمة «الخلاص».

ولكننا لن نتمكن من فهم معنى الخلاص، أو كيف يعمل، ما لم نفهم أولاً المصطلح الكتابي عن هذا المرض.

**إننا لن نفهم أنفسنا بصدق أو العالم الذي نعيش فيه ما لم نواجه مرض الخطية بصورة واقعيّة**

هذا المصطلح هو «الخطية»، ولمساعدتنا على الفهم، دعونا نشبهه بالمرض الجسدي. يميز العاملون في المجال الطبي بين أعراض المرض والسبب الجذري للمرض نفسه. لأنه إذا أراد أحد الشفاء، فإنه ليس جيداً قمع الأعراض فقط دون التخلص من جذر هذا المرض. وليس هناك أي أمل في الشفاء لأحد ما لم يتمكن من أن يهاجم الجذور- سبب المرض- والقضاء عليها.

على سبيل المثال، الصفرة (أو أصفرار الجسم) ليست مرضاً وإنما هي عرض خارجي لبعض الإضطرابات الداخلية التي ترتبط بالكبد، ومن الواضح أنه لن تكون هناك فائدة من محاولة التخلص من الإصفرار، ولن يحصل شفاء ما لم يتم التعامل مع الكبد وفحصه.

## أعراض محددة للخطية

يعطينا العهد الجديد قوائم بأعراض مختلفة من مرض الخطية، وعادة ما يضيف محذراً من خطورة هذه الأعراض. وإليك إحدى هذه القوائم:

> «وَأَعْمَالُ الْجَسَدِ ظَاهِرَةٌ، الَّتِي هِيَ: زِنىً عَهَارَةٌ نَجَاسَةٌ دَعَارَةٌ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ سِحْرٌ عَدَاوَةٌ خِصَامٌ غَيْرَةٌ سَخَطٌ تَحَزُّبٌ شِقَاقٌ بِدْعَةٌ حَسَدٌ قَتْلٌ سُكْرٌ بَطَرٌ، وَأَمْثَالُ هذِهِ الَّتِي أَسْبِقُ فَأَقُولُ لَكُمْ عَنْهَا كَمَا سَبَقْتُ فَقُلْتُ أَيْضًا: إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هذِهِ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ» (غلاطية٥:١٩-٢١)

وإليك قائمة آخرى تعطي وصفاً بشعاً للأعراض التي تصاحب مرض الخطية في مراحله المتقدمة:

«كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:«أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلاَ وَاحِدٌ. لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ اَللهَ. الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ. حَنْجَرَتُهُمْ قَبْرٌ مَفْتُوحٌ. بِأَلْسِنَتِهِمْ قَدْ مَكَرُوا. سِمُّ الأَصْلاَلِ تَحْتَ شِفَاهِهِمْ. وَفَمُهُمْ مَمْلُوءٌ لَعْنَةً وَمَرَارَةً. أَرْجُلُهُمْ سَرِيعَةٌ إِلَى سَفْكِ الدَّمِ. فِي طُرُقِهِمِ اغْتِصَابٌ وَسُحْقٌ. وَطَرِيقُ السَّلاَمِ لَمْ يَعْرِفُوهُ. لَيْسَ خَوْفُ اِللهِ قُدَّامَ عُيُونِهِمْ»». (رومية٣:١٠-١٨).

بالطبع كل هذه القوائم لا تعني أن جميع الأعراض التي يمكن العثور عليها سنجدها في الجميع بنسب متساوية. ومن ناحية أخرى، يصر العهد الجديد على أن الجميع لديهم بعض هذه الأعراض لأنه مرض عالمي.

**أعراض عامة للخطية**

وهناك ما يمكن أن يُسمى بالأعراض الأكثر عمومية. وأحد هذه الأعراض هو الضعف الأخلاقي. «إِذْ كُنَّا بَعْدُ ضُعَفَاءَ.». (رومية ٥:٦).

وكمثال لهذا الضعف، دعونا نتأمل في بيلاطس البنطي، الحاكم الروماني الذي كان مسؤولاً عن صلب يسوع المسيح (متى٢٧:١١-٢٦، لوقا٢٣:١-٢٥، يوحنا١٨:٢٨-١٩:١٦). وهو آخر رجل يمكن أن نتخيل أنه ضعيف وقتها. فقد كان جندياً رفيع المستوى، وضابطاً على قيادة الجيش الروماني في اليهودية، وكان أيضاً مسؤولاً عن القانون والنظام في البلاد.

ظاهرياً، كان بيلاطس مثل شجرة البلوط العظيمة التي تبدو صلبة وقوية، ولكن من داخلها كان السوس يلتهمها، وعند الضغط عليها، فإنها تنكسر وتسقط.

عندما تحدث بيلاطس مع يسوع على إنفراد، وأصبح على علم من حقيقة هوية ابن الله والخطية الهائلة التي ستنتج من صلب ابن الله البار، عندئذٍ قرر أنه يجب أن يفعل ما يعرف أنه حق ويطلق يسوع (يوحنا١٩:٨-١٢). ولكن عندما خرج لليهود، صرخت الجموع اصلبه، وهدده قادة اليهود بالإفتراء عليه إلى الإمبراطور الروماني. وعندها انهار بيلاطس على الرغم من أنه يعلم أن ما هو موشك على القيام به هو جريمة خيانة للعدالة، الخوف دمر مقاومته وبالخوف حكم على يسوع ليُصلَب.

وهذا يقودنا إلى التساؤل: ألم يسبق لنا قط الكذب خوفاً من العواقب التي ستنجم

من قولنا الحقيقة؟ ألم يسبق لنا قط فعل شيءٍ كنا نعرف أنه خطأ، ولكن بسبب ضغوط الجماعة التي ننتمي إليها قمنا بذلك، وكنا نخاف أن نقف ضد الجماعة؟

عرض آخر من الأعراض العامة للخطية هو الفجور:

«عَالِمًا هذَا: أَنَّ النَّامُوسَ لَمْ يُوضَعْ لِلْبَارِّ، بَلْ لِلأَثَمَةِ وَالْمُتَمَرِّدِينَ، لِلْفُجَّارِ وَالْخُطَاةِ، لِلدَّنِسِينَ وَالْمُسْتَبِيحِينَ، لِقَاتِلِي الآبَاءِ وَقَاتِلِي الأُمَّهَاتِ، لِقَاتِلِي النَّاسِ، لِلزُّنَاةِ، لِمُضَاجِعِي الذُّكُورِ، لِسَارِقِي النَّاسِ، لِلْكَذَّابِينَ، لِلْحَانِثِينَ، وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ آخَرُ يُقَاوِمُ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ، حَسَبَ إِنْجِيلِ مَجْدِ اللهِ الْمُبَارَكِ الَّذِي اؤْتُمِنْتُ أَنَا عَلَيْهِ». (١ تيموثاوس١:٩-١١)

الكلمة اليونانية الأصليه لكلمة «فجَّار»، تعني «أناس ليس لديهم أي إحترام أو تقديس» والواحد الذي لا يحترمونه أو يقدسونه هو الله، في المقام الأول. ولكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد، فالإنسان مخلوق على صورة الله، وعندما يفقد الناس إحترام وتقديس الخالق، فإنهم يبدأون في خفض تقديرهم للمخلوق أي الإنسان. وبالتالي يفقدون إحترامهم لحرمة وقدسية أجسادهم وأجساد الآخرين. وهذا المناخ يسمح بتكاثر لخطايا كبيرة وقبيحة من خطايا جنسيةَ وإدمان الخمور والمخدرات التي تصيب الصحة الجسدية وتضعف العقل. هم يفقدون احترام قدسية الصدق، وبالتالي نجد كل أنواع الكذب والخداع وعدم الإلتزام بالوعود. وفي النهاية، هم يفقدون إحترام قدسية الحياة، ولهذا نجد الجرائم التي لا نهاية لها من العنف.

**كلمة «فجَّار» تعني أناس ليس لديهم أي إحترام أو تقديس**

عَرَض آخر من الأعراض العامة للخطية هو الإعتزال والعداوة لله:

«لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ لله» (رومية ٧:٨).

«وَأَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً أَجْنَبِيِّينَ وَأَعْدَاءً فِي الْفِكْرِ، فِي الأَعْمَالِ الشِّرِّيرَةِ» (كولوسي١:٢١).

أمثلة كثيرة على هذا العَرَض تبدو واضحة جداً خلال القرن الحالي. فقد أستخدمت الحكومات في العديد من البلدان قوتها في محاولة منهجية لتلطيخ وتشويه الإيمان

بالله والمسيح. ولكن العداء ضد الله لا يقتصر فقط على الملحدين المجاهرين. لكنه في بعض الأحيان، يمكن للناس المتظاهرين بالتدين في القلب أن يكونوا أعداءً لله. الرسول المسيحي بولس كان متديناً جداً، ولكنه كان العدو اللدود ليسوع المسيح قبل تجديده (١تيموثاوس١:١٢-١٧).

والحقيقة الجلية هي أن هناك تمرداً على الله في قلب كل واحد منا. فعندما يأمرنا الله في الكتاب المقدس أن نفعل شيئاً أو ألا نفعل شيئاً، فإن أوامره في كثير من الأحيان ما تثير الإستياء في داخلنا وتجعلنا نريد أن نفعل العكس تماماً. ويستشهد الرسول بولس بمثالٍ من تجربته الشخصية (رومية ٥:٧، ٧-٩). فقد عاش لعدة سنوات غير مدرك لوصية الله القائلة «لا تشته»، ولكن الله أستحضر هذه الوصية لقلبه، ووجد بولس أن هذه الوصية قد أثارت جميع أنواع الشهوات والطمع في قلبه، بحيث أنه كلما جاهد، وجد نفسه لا يتمكن من السيطرة على الشهوة. والأكثر من ذلك، أنه وجد في أعماقه أنه لا يريد السيطرة عليها.

وبالطبع، هذه العداوة الأساسية ضد الله ليست بالضرورة، أو في كثير من الأحيان، ما تعبر عن نفسها في شكل عداء واضح لله. لكنها في كثير من الأحيان تأخذ شكل اللامبالاة.

مثلاً إذا قال شخص ما: «أنا فقط لست مهتماً في الموسيقى أو الفن»، فقد نعتقد أنه لأمر مؤسف؛ لكننا لا ننزعج من ذلك، لأنها ليست سوى مسألة ذوق. ولكن إذا قالت أمرأة: «أنا مجرد لست مهتمة في زوجي» فهذا أمر مأساوي، لأنه دليل واضح على أنها تَنفُر من زوجها. وأن الحب بينهم قد دُمِّر. ولكن إذا قال شخص ما «أنا فقط لست مهتماً في الله»، فهذه مأساة أعظم. نحن مديونون بوجودنا لله، فكيف نكون غير مهتمين في الله. هذا عَرَض واضح للخطية، يدل على حالة حادة من الإغتراب عن الله.

**نحن مديونون بوجودنا لله، فكيف نكون غير معتمين في الله؟**

وهذه اللامبالاة ما هي إلا أعراض لحالة الإغتراب. ولكن المرض الكامن ينطوي على الرغبة في أن نكون مستقلين عن الله.

الرغبة في أن نكون مستقلين عن الله، خالقنا: وفقاً للكتاب المقدس (سفر التكوين

٣)، فإن الخطية الأولى التي أرتكبها جنسنا البشري لم تكن فجة أو رهيبة مثل القتل أو الفجور. لقد حدثت عندما تم إغراء آدم وحواء من قبل الشيطان ليتحرَّرا من سلطان الله ويستقلا عنه، وهكذا يقررا بنفسيهما ما هو جيد وما هو شر. وتصورا أنه يمكنهما أن يكونا آلهة آمنة. لذلك أخذا من الثمرة المحرمة. وأدى ذلك في آن واحد إلى الإغتراب عن الله والشعور بالذنب والخجل مما جعلهما يطلبان الهرب والإختباء من الله، وشعرا وقتها أن الله ضدهما. ونحن جميعنا تبعناهما في طريق العصيان والإستقلال هذا. ولكن لكي نستمر بهذا الشكل فهذا يعني أن نعيش على الكذب، وغير الواقعية. و تبقى الحقيقة أننا لم نخلق أنفسنا، فنحن خليقة الله. ولكن حتى نعيش في عزلة وإستقلال عن الله فهذا يتعارض مع القانون الأساسي من وجودنا.

ولهذا يخبرنا العهد الجديد أن الخطية هي التعدي:

«كُلُّ مَنْ يَفْعَلُ الْخَطِيَّةَ يَفْعَلُ التَّعَدِّيَ أَيْضًا. وَالْخَطِيَّةُ هِيَ التَّعَدِّي» (١يوحنا٣:٤).

الآن نحن نعرف ما هي المخاطر التي سنواجهها إذا تجاهلنا القوانين المادية، فمثلاً، في قوانين الكهرباء. لنفترض أن رجلاً اشتري غلاية كهربائية ولكنه لم يحاول قراءة أو إتباع تعليمات الشركة المصنِّعة، وقام بتركيبها وتوصيل أسلاكها كما يظن. فقد ينتج عن ذلك صدمة كهربائية تقتله. وعندها سنلومه على حماقته لإهماله تعليمات الصانع وعدم مراعاته لأبسط قوانين الكهرباء. وبالمثل، فإنّ إهمال الأمور الأساسية، وعدم الطاعة لتعليمات وقوانين الخالق الأخلاقية والروحية حتماً ستؤدي إلى كارثة أخلاقية وروحية. هذا هو السبب الجذري لأعراض خطايا الكثيرين.

**إهمال الأمور الأساسية وعدم الطاعة لتعليمات وقوانين الخالق الأخلاقية والروحية، حتماً ستؤدي إلى كارثة أخلاقية وروحية**

الشيء الرائع هو أنه وفقاً للكتاب المقدس، يوجد علاج. «صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحِقَّةٌ كُلَّ قُبُول: «أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ»، «لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ». (١تيموثاوس١:١٥؛ يوحنا٣:١٧). ولهذا سندرس في الفصول التالية، المصطلح التي يستخدمه العهد الجديد

لوصف هذا الخلاص وكيف يعمل.

ولكن يوجد شيئان علينا أن نلاحظهما. الأول هو أن كثيراً من الناس يعتقدون أن طريق الخلاص هو أن نبذل كل جهدنا لوقف أعراض الخطية من حياتنا. وهذا أمر جيد في حد ذاته، ولكن لا يمكن أن يخلصنا من المرض. قد نقطع كل التفاح من شجرة التفاح، ولكن ستبقى الشجرة تصنع تفاحاً. هذه طبيعتها الداخلية. لذلك حتى لو تمكنا من قمع كل أعراض الخطية، ستظل باقيةً الطبيعة الخاطئة التي في داخلنا. وهذه الطبيعة، كما يخبرنا العهد الجديد، ليست خطأنا. لقد ولدنا بهذه الطبيعة. ورثنا هذه الطبيعة الخاطئة الساقطة من أبينا الأول، آدم. ولكن بطريقة مماثلة نستطيع، إذا أردنا، أن نستقبل من المسيح طبيعته غير الساقطة، وحياته المقدسة، لكي نعيش حياة تُسِرُّ الله.

«لأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ (آدم) جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً، هكَذَا أَيْضًا بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ (المسيح) سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَارًا» (رومية٥:١٩).

والشيء الثاني الذي علينا ملاحظته هو أن الله يُحبَّنا ونحن بعد خُطاة. هذا هو السر الذي يجعل خلاص الله أمراً واقعياً وعملياً جداً. ليس علينا تجميل أنفسنا أمام الله الذي على إستعداد أن يقبلنا كما نحن ويبدأ فينا عمل الخلاص العظيم في داخلنا. إنه يُحبَّنا ومستعد لقبولنا كما نحن. وهذا ما نجده في (رومية٥:٦-١١)، وهو مقطع هام لكل شخص جاد في البحث في مشكلة الخطية وعليه أن يدرسه بدقة.

**ليس علينا تجميل أنفسنا أمام الله الذي على إستعداد أن يقبلنا كما نحن ويبدأ فينا عمل الخلاص العظيم في داخلنا**

«لأَنَّ الْمَسِيحَ، إِذْ كُنَّا بَعْدُ ضُعَفَاءَ، مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ لأَجْلِ الْفُجَّارِ. فَإِنَّهُ بِالْجَهْدِ يَمُوتُ أَحَدٌ لأَجْلِ بَارّ. رُبَّمَا لأَجْلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَيْضًا أَنْ يَمُوتَ. وَلكِنَّ اَللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا. فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ الآنَ بِدَمِهِ نَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْغَضَبِ! لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اِللهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُصَالَحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ! وَلَيْسَ ذلِكَ فَقَطْ، بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضًا **بِاللهِ**، بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي نِلْنَا بِهِ الآنَ الْمُصَالَحَةَ».

# ٤

# المصالحة

## الطريق إلى السلام

في الفصل السابق، تمت دراسة المرض الروحى والأخلاقى الذي نعاني منه جميعنا، وأعراضه من الإغتراب عن خالقنا. والآن نبدأ في دراسة المصطلحات الكتابية التي تصف العلاج.

وفي أولها يأتي المصطلح الجميل «المصالحة» مع أفعاله ومشتقاته مثل «يصالح». ربما يكون من أسهل المصطلحات للفهم لأننا نعرف بالفعل ما يعنيه في علاقاتنا مع الآخرين. ولدى معظمنا تجارب حياتية واقعية على شاكلة الآتي. قد نتصرف أو نتكلم بطريقة خاطئة ونتسبب في جرح عميق لبعض الأصدقاء. وعندما يواجهنا أصدقاؤنا بأخطائنا. نجد أنه بدلاً من الإعتراف بها، وطلب الغفران، يطغى علينا الكبرياء أو الخوف الذي يجعلنا ننكر أخطاءنا، أو حتى نكذب أو نغضب، ونقدم الكثير من الإتهامات المضادة ضدهم. وعندما ندير ظهورنا لهم، نقول بالغمز والرمز: «أنا لا أريد التحدث معه أو رؤيته مرة أخرى». ومن هنا تبدأ فترة طويلة من الإغتراب والبُعد والصمت. وخلال ذلك الوقت، إذا جاء أي شخص يتحدث ببراءة مثنياً على صديقنا القديم، فقد نستاء منه، ثم نبدأ بسرد ما لدينا (جانبنا المشوه) من القصة، لكي نضع سواداً على شخصية صديقنا السابق، وبهذا نبرر سبب عدائنا له.

فمن هذا القبيل يتكرر الأمر مع العديد من الناس في علاقتهم مع الله. الذاكرة والضمير الشرير يجعلهم مدركين في أعماقهم أنه إذا كان هناك خالق، لابد وأنه سيقف ضد خطاياهم، وهم يظنون أنه سيقف ضدهم أيضاً. لذا فبدلاً من إعترافهم بخطاياهم، فإنهم ينكرون وجود الخالق. وإذا كان لابد لهم في أن يتقابلوا مع شخص يؤمن بالله، ويحبه ويعبده، فإنهم سيستاؤون منه في أعماقهم، وسيلقون بالتهم على الله إزاء جميع الشرور التي أرتكبها رجال الدين كما لو كان ذلك خطأ الله (وكما لو كان الملحدون لم يسبق لهم أن أرتكبوا أي شر)، وغير ذلك فإنهم سيلومون الله لسماحه بهذا القدر الكبير

من المعاناة في العالم، وهلم جراً. وهكذا فإن اغترابهم عن خالقهم سيستمر أكثر قتاماً، وتظل حياتهم الرمادية مائلة إلي السواد وبلا نفع في نهاية المطاف، ويظل ضميرهم الشرير يحتج ويرفض بشكل دائم الخضوع والهدوء.

## الخطوة الأولى

المصالحة هي الكلمة التي تخبرنا أن الله نفسه هو العامل والفاعل للتغلب على حالة الإغتراب هذه، وهو العامل لتبديد سوء الفهم الذي نستند عليه، وإزالة العقبات التي تعترض السلام. ولتأكيد الأمر يوجد مقطعان في العهد الجديد يخبراننا كيف يتم ذلك:

«(يسوع المسيح) الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ. فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ. الَّذِي هُوَ الْبَدَاءَةُ، بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ. لأَنَّهُ فِيهِ سُرَّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلْءِ، وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلاً الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءٌ كَانَ: مَا عَلَى الأَرْضِ، أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً أَجْنَبِيِّينَ وَأَعْدَاءً فِي الْفِكْرِ، فِي الأَعْمَالِ الشِّرِّيرَةِ، قَدْ صَالَحَكُمُ الآنَ فِي جِسْمِ بَشَرِيَّتِهِ بِالْمَوْتِ، لِيُحْضِرَكُمْ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ وَلاَ شَكْوَى أَمَامَهُ» (كولوسي١:١٥-٢٢).

**لأَنَّهُ فِيهِ سُرَّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلْءِ، وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلاً الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ**

والمقطع الثاني سنجده في (٢كورنثوس٥:١٨-٢١).

والملاحظة الأولى التي سنجدها في هذه المقاطع حول موضوع المصالحة هو أن في عملية المصالحة هذه، الله هو صاحب الخطوة الأولى:

«لأَنَّهُ فِيه (أي في المسيح) سُرَّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلْءِ، وَأَنْ يُصَالِحَ (الله) بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ. اَللهُ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ».

الآن ما يلفت نظرنا، هو أن قواعد الله العادية للبشر في حالة أن يخطئ شخص تجاه آخر هو أنه، من مسؤولية من أرتكب الخطأ أن يأخذ المبادرة في صنع المصالحة كما

قال السيد المسيح.

«لذلك فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ». (متى٥:٢٣-٢٤).

ولكن الله لم يفعل أي خطأ تجاه العالم. لذلك فهو ليس لديه ما يعتذر عنه. فقد كان البشر هم من بدأوا العداوة بتمردهم ضده. ومع ذلك فإن الله هو الذي تقدم بالخطوة الأولى لمصالحتنا، من خلال إرسال ابنه إلى العالم.

**إنّ الله هو الذي تقدّم بالخطوة الأولى لمصالحتنا من خلال إرسال إبنه إلى العالم**

سبب آخر لافت للنظر في كون الله مبادراً. وهو أنه في كثير من الأحيان، عندما تنقطع العلاقة بين طرفين من البشر، فإنهم يتمنون فعل أي شيء للأقتراب مجدداً وإسترجاع صداقتهم مرة أخرى. ولكن كل طرف يبقى خائفاً من رفض الطرف الآخر له. ولكن الله أرسل ابنه إلى العالم وهو يعلم مسبقاً أنه سيُرفَض، ويُهان، ويُصلَب. وفي الواقع لهذا السبب أتى ابن الله، وهو الذي به عُمل العالمين، جاء بيننا بمجده الإلهي محتجباً في صورة الإنسان. إذ أن مجده البهي جعل من المستحيل للإنسان الإقتراب منه، وناهيك عن التعبير عن عدائهم له، فإنهم نَفَّسوا عن ما لديهم من عداء ضد الله وأسقطوه على المسيح يسوع إذ علّقوه على الصليب. وعندما فعلوا ذلك، أعلن الله أنه لا يزال يحبهم، وأنه على إستعداد لأن يغفر لهم على فِعلتهم بابنه الوحيد بل وعلى كل الخطايا الأخرى المترتِّبة على تمردهم (أعمال الرسل٢:٣٦-٣٩)، لأنه أحبهم حتى وهم بعد أعداء.

وهنا كانت إجابة الله للإفتراءات التي ألقاها الشيطان في أفكار وقلوب الجنس البشري بكامله، وهى أن الله طاغية، ينتظر فقط أول فرصة لمنع البشر من التعبير عن شخصياتهم تماما وعن مواصلة طموحاتهم الخاصة (تكوين ٣).

هل نظن أن الله قد ذهب بتخفيف الخطية، أو أنه إستسلم لغطرسة وشر الإنسان من أجل إستعادة العلاقة معه؟ كلا، بل إن الله سبحانه وتعالى أمام مهمة ليست سهلة. فهو لا يستطيع ولن يقبل أن يرى خطية الإنسان وكأنها لا تهمه. لذلك نحن بحاجة

لكي نفهم ما يعنيه العهد الجديد بمصطلح «المصالحة» في قول الكتاب أن: «اَللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ». وللقيام بذلك نحتاج إلى النظر في طريقة إستخدام الكلمة اليونانية القديمة لكلمة مصالحاً.

لنفترض أن الرجل (أ) قد أهان بعمق رجلاً آخر (ب) بفعل خاطئ، فإن (ب) له كل الحق في أن يغضب من (أ)، ويرفع قضايا ضده. وللمصالحة بين (أ) و (ب)، ليس هناك ما عليك تغييره عن فكرة (أ) عن (ب)، ولكن عليك فقط إزالة سبب غضب (ب) ضد (أ).

الآن بخصوص غضب الله ضد الخطية، هو ليس فقدان مؤقت لحالة الله المزاجية والتي قد تتسبب في أن يتصرف خارج إطار شخصيته. ولا هو شعور من السخط قد يتلاشى في نهاية المطاف. ولا يمكن أن يكون شعور خاص بالإستياء يحتفظ به سرياً في رأسه. لكن الخطية هي تحدي لوجود الله، وكالحاكم الأخلاقي للكون، لابد وأن يعبر الله علناً وبشكل عملي عن سخطه الكلي ضد الخطية. وبالتالي فإن ذلك يعني، أنه لا يمكن التغاضي عن الخطية بشكل دائم، ولن يتصرف كما لو أنه لا يهمه، بل سيقضي معاقبة الخطية، وذلك علناً أمام أعين الكون كله، حتى يمكنه إزاحة سخطه وتبرير شخصه. وبالتالي لكي يُصالح العالم لنفسه، كان لابد لله أولاً من إزالة سبب سخطه على العالم، ولهذا عليه من معاقبة الخطية في العالم. عندئذ يمكن أن يكون هناك مصالحة، ولا ترحيب بعودة الإنسان إلى العلاقة مع الله بدون ذلك.

**لأن المسيح كان إنساناً حقًّا فهو قادر على الوقوف كممثِّل للجنس البشري أمام الله**

ولهذا السبب، وبموجب ربوبيتة، صار ابن الله إنساناً متخلياً عن أن يكون هو الله القاضي. ولأن كل ملء اللاهوت سكن فيه، لذلك فهو أمكنه تمثيل الله لدى الإنسان. وفي ردود أفعاله تجاه الإنسان، نرى ردود أفعال الله. ففي المسيح يستطيع الإنسان أن يرى الله حقاً. وفي نفس الوقت لأنه كان إنساناً حقاً (ولكن ليس إنساناً فقط) فهو قادر على الوقوف كممثل للجنس البشري أمام الله. وبالتالي فهو في وسعه، وقد فعل، أن يأخذ على عاتقه، كالنائب والبديل عن جنسنا البشري، كل خطايا الجنس البشرى، وأن يتحمل علناً سخط الله وغضبه ويعاني عقاب خطايانا. وهكذا أزاح تماماً سبب سخط الله وغضبه تجاه العالم وجعل من الممكن للإنسان أن يتصالح مع الله ويتمتع بالسلام معه.

نقرأ في ٢ كورنثوس٥:١٨-٢١، أن «اَللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ... لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً (يسوع المسيح)، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اِللهِ فِيهِ».

وهذا يعني، أن المسيح، على الرغم من كونه بلا خطية في نفسه، أخذ على نفسه خطايا العالم كنائبٍ للبشرية، فقد تعامل الله الآب معه كما لو كانت خطايا العالم له. وهكذا تحمل المسيح العقاب العادل لخطايا البشرية وأستنفذت في شخصه، ونتيجة لذلك لم يعد هناك أي عائق في طريق عودة الإنسان إلى الله. العدالة لم تعد تلزم الله أن ينسب خطايا العالم لهم. الكل يمكنه الإقتراب إلى الله من خلال المسيح، ويتصالح معه، ويكون في سلام معه الآن وإلى الأبد. ولأن الإنسان لا يمكنه تحقيق السلام مع الله بنفسه. فقد أتم المسيح هذا السلام بنفسه لحساب الإنسان. كل ما يحتاج الإنسان القيام به هو قبول المصالحة والسلام الذي يقدمه المسيح. لذا فمن يأتي إلى الله، يجد نفسه مقبولاً كقبول المسيح نفسه لدى الآب، أو لنصيغها كما يقولها الكتاب المقدس، أنه يعتبر من يأتي إلى الله صحيحاً تماماً مع الله كما المسيح «لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اِللهِ فِيهِ».

**لأنّ الإنسان لا يمكنه تحقيق السلام مع الله بنفسه فقد أتمَّ المسيح هذا السلام بنفسه لحساب الإنسان**

هل يعني هذا، أن جميع الناس في كل مكان قد خلصوا، أو سيخلصون في نهاية المطاف، سواء كانوا قد تجاهلوا الله وعاشوا حياة الخطية، أم لا، أو حتى إذا إستمروا في إلحادهم؟ بالطبع لا. بالتأكيد قام المسيح بالمصالحة والسلام مع الله للبشرية جمعاء. ولكن يبقى السؤال ما إذا كنا من جانبنا على إستعداد لقبول هذا السلام أم لا. وقد حدثت أمثلة على شاكلة ذلك في بعض الأحيان عبر التاريخ، وذلك عندما يدعو قادة بلدين متحاربين إلى هدنة ثم يتم توقيع معاهدة سلام، وقتها قد نجد مجموعة منفصلة في واحدة من الدولتين ترفض قبول هذه المعاهدة وهذا السلام. وتستمر في إعتبار الدولة الأخرى كعدو، واعتبار من قبلوا السلام من دولتهم، بأنهم خونة. ثم يستمرون في القتال.

ذلك ما يحدث معنا. أولئك الذين يقبلون السلام الذي صنعه المسيح يقولون، في العهد الجديد، «لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اِللهِ» (رومية٥:١) وهكذا يدخلون في سلام دائم مع الله. ولكن من الممكن للإنسان رفض المصالحة ومواصلة حالة اللامبالاة والعداء للخالق.

والمخلوق الذي يقوم بذلك لابد، بطبيعة الحال، سيؤدي رفضه حتماً إلى كارثة.

**العلاقات وإستعادتها**

توجد فائدتان أخريان نتجتا من المصالحة والسلام الذي صنعه المسيح. الأولى هي أن، أولئك الذين قبلوا المصالحة بصفة شخصية مع الله بعمل المسيح سيجدون أن المصالحة مع الله تصنع سلاماً بينهم وبين جميع الذين تصالحوا مع الله في المسيح.

«لِذلِكَ اذْكُرُوا أَنَّكُمْ أَنْتُمُ الأُمَمُ قَبْلاً فِي الْجَسَدِ... أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ بِدُونِ مَسِيحٍ، أَجْنَبِيِّينَ عَنْ رَعَوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ،... وَلكِنِ الآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً بَعِيدِينَ، صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ. لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الاثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ ١أَيِ الْعَدَاوَةَ. مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الاثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، صَانِعًا سَلاَمًا، وَيُصَالِحَ الاثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلاً الْعَدَاوَةَ بِهِ. فَجَاءَ وَبَشَّرَكُمْ بِسَلاَمٍ، أَنْتُمُ الْبَعِيدِينَ وَالْقَرِيبِينَ. لأَنَّ بِهِ لَنَا كِلَيْنَا قُدُومًا فِي رُوحٍ وَاحِدٍ إِلَى الآبِ». (أفسس٢:١١-١٨).

يصف هذا المقطع كيف يضع المسيح حداً لحالة العداء التي إستمرت لسنين بين اليهود وغير اليهود. ولكن نفس الشيء ينطبق على جميع الحواجز الأخرى سواء كانت عرقية، أو قومية، أو وضعاً أجتماعياً، أو ديناً والتي جميعها أنتجت مثل هذه الإنقسامات العميقة في الجنس البشري. للأسف صحيح أن في كثير من الأحيان عبر التاريخ وفي كثير من الدول، أن الذين قد أدعوا أنهم مسيحيون قد أضطهدوا وقتلوا شعوباً وأمماً أخرى أدعت أنها مسيحية أيضاً. لكن مثل هذا السلوك يلقي شكوكاً خطيرة حول ما إذا كان أى من الأطراف المتحاربة قد تصالح فعلاً مع الله أم لا؟ وربما كان إعترافهم بالمسيحية فقط ظاهرياً أو سطحياً، أو كما يصفهم العهد الجديد أنهم أخذوا «نِعْمَةَ اللهِ بَاطِلاً» (٢كور٦:١).

والفائدة الثانية، الهائلة المنفعة هى: أن الله يوماً ما سيصالح الكون والكائنات الذكية كلها لنفسه (راجع الإقتباس من كولوسي١:٢٠).

نعود ونكرر مرة أخرى، ومع كل أسف، هذا لا يعني أن كل كائن، بما فيهم الشيطان، سيصبح صديقاً مخلصاً لله؛ لأن الله لن يلغي الإرادة الحرة لأي مخلوق، ولا حتى بغرض تحويل المتمردين إلى قديسين. ولكن الوضع هو: أن الله لن ينتظر إلى الأبد. يوماً ما كما

قال، سيُعيد ويُخضِع الأرض والكون لنفسه. وهذا يعني أنه سيكبح بالقوة كل الذين يصرون على التمرد ضده. ولكن عندما يفعل ذلك، فإن لا أحد سيقدر على رفع صوته في أي احتجاج أخلاقي. صليب المسيح سيُسكت كل إعتراض. الكل يمكنه الخلاص بإعلان نعمة الله الرائعة على حساب يسوع المسيح. حتى أولئك الذين سيهلكون، لن يقدروا على إنتقاد الله على أسس أخلاقية. وسيصبح الكون في سلام تام (رؤيا ٥:١١-١٤).

**إنّ الله لن ينتظر إلى الأبد**
**يوماً ما سيُعيد ويخضع الأرض لنفسه**

# ٥

# التبرير

## جعل الأمور في نصابها الصحيح قانونياً

المصطلحان التاليان - واللذان يستخدمهما العهد الجديد لوصف ما أستعد الله للقيام به بالنسبة لنا - هما «يبرر» و«التبرير». فمن الناحية القانونية، قد ينزعج بعض الناس ممن يقولون أنه إذا كان هناك إلهاً محباً، فعليه أن يحبنا بمثابة محبة الآب لإبنه الضال، وأن يكون على إستعداد لاستقبال الخطاة مثلما فعل الوالد في مثل «الإبن الضال» الشهير (لوقا ١٥) والذي رواه يسوع. حيث لم يتصرف الآب بمثابة القاضي مستدرجاً إبنه التائب إلى القضاء، وهكذا ينبغي أن يكون تصرف الله معنا.

**لأن هناك إلهاً محباً، فإنه يحبنا بمثابة محبة الآب لإبنه الضال**

ولكن هذا التفكير ضحل. فإنه حتى في هذا المثل، بينما غفر الآب لإبنه الأصغر المُسرِف، وأعاده للبيت كإبنٍ له، فإنه لم يسلب حق الأخ الأكبر في الميراث، ولم يعطِ نصفه للضال العائد كتعويض لمصالحته، لأن الحقيقة تقول أن الإبن الضال قد بدد نصيبه من الميراث. وإلا فسيكون ذلك غير عادلٍ بالمرَّة، وغفران الله لا يمكن أن يكون على حساب العدالة سواء تجاه شخص الله نفسه أو تجاه أشخاص آخرين.

إفترض أن إبنتك عَمِلَت في أحد البنوك. وذات يومٍ دخل لص إلى البنك، وأطلق عليها النار، وهرب بمبلغ كبير من المال. فما رأيك في القاضي إذا قال لك في يوم النُطق بالحكم على المجرم: «على الرغم من أن هذا الرجل مجرم، فهو إبني وأنا أحبه، وهو يشعر بالأسف لما حدث. لذلك قررت أنا القاضى أن أغفر له دون فرض أية عقوبة»! ألن تحتج على مغفرةٍ ظالمةٍ تماماً مثل هذه سواء في حقك أو في حق إبنتك؟ ألن يُقوّض هذا الفعل كل أساس في مجتمع عادل ومتحضر؟ ما يعلمه لنا مثل الابن الضال هو بالتأكيد صحيح: أن الله على

إستعداد لأن يغفر لأولاده. ولكن هذا جانب واحد فقط من الحقيقة. والجانب الآخر هو أن غفران الله يجب أن يكون متفقاً مع العدالة الكونية ويجب أن يُنظَر إليه كذلك.

الآن سنجد- في الوقت الحاضر- أن الفعل «يبرر» له دلالتين أساسيتين:

١. أنه يُعلِن أن شخصاً ما سيكون في جانب الصواب والحق.

٢. لإثبات أن شخصاً ما أو شيئاً ما هو صواب وحق.

وهذا لا يعني «جَعلَ شخصٍ ما في جانب الصواب والحق»، لاحظ ما جاء في لوقا٢٩:٧ إذ يقول: «وَجَمِيعُ الشَّعْبِ... بَرَّرُوا اَللهَ» وهذا لا يمكن أن يعني أن الناس جعلوا الله باراً بل يعني أن الشعب أعلن أن الله بار.

ولكن الآن دعونا نبدأ بملاحظة مثال يوضح إستخداماً آخر للكلمة ورد ذِكره في محاكمة بشرية من العصور التوراتية.

«إِذَا كَانَتْ خُصُومَةٌ بَيْنَ أُنَاسٍ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْقَضَاءِ لِيَقْضِيَ الْقُضَاةُ بَيْنَهُمْ، فَلْيُبَرِّرُوا الْبَارَّ وَيَحْكُمُوا عَلَى الْمُذْنِبِ» (تثنية٢٥:١).

ما معنى هذا العدد «تبرير البار وإدانة الأشرار»؟؟ كما هو واضح فإن «الحكم على المذنب» لا يعني جعله مذنباً ولكن ليعلنه مذنباً، أو لإعلان أنه في الجانب الخطأ. وبالمثل «تبرير البار» يعني أن الشخص الذي سيتم الحكم عليه بالبراءة في النهاية، يعلن عن كونه في جانب الصواب والحق.

للأسف، قد يحدث أحياناً في المحاكم البشرية أن الشخص الذي إرتكب بالفعل جرماً، قد نجده قادراً على إرشاء القاضي وهيئة المحلفين ليقدموا حكماً كاذباً. وذلك مخالف لتعاليم الكتاب المقدس الذي يدين بشدة تحريف وإفساد العدالة:

«مُبَرِّئُ الْمُذْنِبَ (وها هو، يعلن عن رجل شرير يأخذ حكماً بالبراءة) وَمُذَنِّبُ الْبَرِيءَ كِلاَهُمَا مَكْرَهَةُ الرَّبِّ» (أمثال١٧:١٥).

وإذا أخذت في الإعتبار المثل التالي الذي رواه يسوع. سوف تجد بعض المفاجآت.

«وَقَالَ لِقَوْمٍ وَاثِقِينَ بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ، وَيَحْتَقِرُونَ الآخَرِينَ هذَا الْمَثَلَ: «إِنْسَانَانِ صَعِدَا إِلَى الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا، وَاحِدٌ فَرِّيسِيٌّ وَالآخَرُ عَشَّارٌ. أَمَّا الْفَرِّيسِيُّ فَوَقَفَ يُصَلِّي

فِي نَفْسِهِ هكَذَا: اَللّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِفِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاةِ، وَلاَ مِثْلَ هذَا الْعَشَّارِ. أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الأُسْبُوعِ، وَأُعَشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ. وَأَمَّا الْعَشَّارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ، لاَ يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ، بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ قَائِلاً: اللّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئَ. أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هذَا نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّرًا دُونَ ذَاكَ، لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ، وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ» (لوقا١٨:٩-١٤).

١. وأول شيء نلاحظه هو أن المسيح يسوع يستخدم مصطلح «مُبَرَّرًا»: «نَزَلَ – العشار- إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّرًا» وهنا شيء مثير للإهتمام. فإن الفريسي والعشار لم يذهبا إلى محكمة بشرية للمثول أمام قاضٍ دنيوي. بل صعدا إلى الهيكل للصلاة. ولكن لكونهما وقفا أمام الله، وإستعرضا حياتهما، تصرف الله كقاضٍ لهما وأصدر حكمه عليهما.

٢. الملاحظة الثانية هي أن، وفقاً لما قاله المسيح، أحد الرجلان رجع إلى بيته مبرراً، وهذا يعني أن الله كالقاضي أعلن أن هذا الرجل صار في الجانب الصائب وتمت تبرئته أمام محكمة الله.

٣. الملاحظة الثالثة هي أنه بينما نزل العشار مبرراً من قبل الله، نجد أن الفريسي لم يبرر. وهذا مذهل جداً! كان العشار معترفاً بأنه خاطئ؛ ومعظم الناس في زمانه كانوا يعتبرون وظيفة جمع الضرائب للإمبراطورية الرومانية- مع كل الغش الذي يحدث- واحدة من أكثر أشكال الخطايا دناءةً. ولكن مع كونه كذلك برره الله! من ناحية أخرى، لم يُبَرِّر الفريسي، الذي حاول أن يعيش حياة صالحة قدر الإمكان، دينياً ودنيوياً (تجارياً واجتماعياً)؛ فهو لم يكن ظالماً، ولا مبتزاً، ولا زانياً، بل كان يصوم مرتين في الأسبوع، ويقدم عُشر دخله لله لكي يبارك به الآخرين. ومع ذلك لم يبرره الله!

**حاول الفريسي أن يعيش حياة صالحة قدر الإمكان دينيًّا ودنيويًّا، فهو لم يكن ظالماً ولا مبتزًّا ولا زانياً، بل كان يصوم مرتين في الأسبوع ويقدِّم عُشر دخله لله لكي يبارك به الآخرين ومع ذلك لم يبررِّه الله!**

للوهلة الأولى، هذا ليس فقط مذهلاً، لكنه صادم. والكتاب المقدس نفسه، كما رأينا، يَنهي القضاة الأرضيين عن تبرير الأشرار، ومن إدانة الصالحين. فكيف إذاً عندما تقدم هذان الرجلان

أمام محكمة الله، أن يُبَرّر الله جابياً للضرائب، وقد كان «رجلاً سيئاً»، ولم يُبَرّر الفريسي، الذي كان «رجلاً صالحاً»؟

إنّ جزءاً من الجواب سنجده في المبادئ الثلاثة التالية:

١. معايير شريعة الله مطلقة وتختلف عن معاييرنا: مثلاً، إذا دخل طالب للإمتحان في المدرسة وحصل على ٧٠ درجةً من أصل ١٠٠، فمن المحتمل نجاحه في الإمتحان، وذلك على الرغم من تقصيره في ٣٠ من ١٠٠. ولكن معايير الله ليست من هذا القبيل. فهو يطالب بنسبة ١٠٠ في ١٠٠ من الكمال في كل وقت. ومن منا يستطيع أن يحقق ذلك؟ البعض منا قد يكون أفضل من غيره. ولكن الله صادق، أنه لا يمكن أن نَدَّعي أننا أفضل من واقعنا. وحكمه الصادر علينا هو «الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ (وهذا هو المعيار الصحيح)» (رومية٣:٢٣).

٢. شريعة الله متكاملة: بمعنى أن كسر وصية واحدة يعني أنك صرت مجرماً في كسر الناموس كله، وهذا ما يقوله الكتاب المقدس (يعقوب٢:١٠). ربما يبدو هذا غير عادل لأول وهلة، لكن شريعة الله ليست هي مجموعة من الأوامر التي لا علاقة لها ببعضها، بحيث إذا كسرت واحدة فقط فإنك ستترك كل ما تبقى غير مكسور. ولكن شريعة الله هي وحدة واحدة. هدفها ومطلبها هو الكمال. وكسر أحد هذه الوصايا يعني أنك حتى لو حفظت وتممت كل ما تبقى، فإن النتيجة النهائية ليست هي الكمال. لأن كسر حلقة واحدة في سلسلة مرساة السفينة يعني ذهابها على غير هدى. وغلطة واحدة في عملية حسابية لقائمة طويلة من الأرقام حتماً سينتج عنها ناتج خطأ تماماً. وهنا نتذكر أن حتى أفضل من فينا قد كسر أكثر بكثير من وصية واحدة من وصايا الله.

٣. شريعة الله تديننا جميعاً: إذا كنا قد حاولنا فعل الصلاح، مثل الفريسي، أو فعلنا الشر مثل العشار، فنحن جميعاً قد كسرنا شريعة الله. كما يقول الكتاب المقدس:

«وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا يَقُولُهُ النَّامُوسُ فَهُوَ يُكَلِّمُ بِهِ الَّذِينَ فِي النَّامُوسِ، لِكَيْ يَسْتَدَّ كُلُّ فَمٍ، وَيَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللهِ». (رومية٣:١٩).

**الجواب على النصف الأول من مشكلتنا**

والآن يمكننا البدء في إجابة النصف الأول من مشكلتنا: لماذا لم يبرر الله الفريسي؟ لأنه عندما جاء أمام الله، إستشهد بكل ما قدمه من أعمال صالحة، وبكل ما قدمه من جهود صادقة للحفاظ على شريعة الله، وكان يأمل أنه بناء على هذه الأسس يمكنه أن يحصل على تبرير الله له. ولكن كان ذلك مستحيلاً. فعلى الرغم من جهوده الحسنة، لكنه مايزال مقصراً، وبهذا كان قد كسر كل شريعة الله، ولذلك فهو يستحق العقاب الإلهي. الله لا يمكنه أن يَدّعي خلاف ذلك، فكلمته تقول: «لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لاَ يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ. لأَنَّ بِالنَّامُوسِ مَعْرِفَةَ الْخَطِيَّةِ» (روميه٣:٢٠).

قد يقول أحدهم، إذا كان الأمر كذلك، فهذا يعني أنه ولا واحد مِنَّا يمكنه أن يكون مُبرّراً أمام الله في القضاء. ولكن ماذا عن العشار؟ هو بكل تأكيد كاسر لشريعة الله بقدر أسوأ من الفريسي. فكيف، إذاً، قال المسيح عنه أنه «ذهب إلى بيته مبرراً؟»

**الجواب على النصف الآخر من مشكلتنا**

نظرياً، هناك طريقتان يمكننا من خلالهما أن نتبرر أمام الله. الطريقة الأولى هي أن نحفظ كل وصاياه وننفذها بشكل كامل. عندها سينطق الله بأننا في الجانب الصحيح وعلى إتفاق معه، لكن هذا مستحيل بالنسبة لنا، كما رأينا. لقد كسرنا كل قوانين الله بالفعل.

الطريقة الأخرى لنكون مبررين هي عن طريق تحمل نتائج كل ما فعلناه ودفع الثمن وتحمل العقاب والقصاص بسبب كسرنا شريعة الله. ولكن إذا كنا سنفعل ذلك، فإن هذا يعني بالنسبة لنا الإنفصال الأبدي عن الله، وبالتالي فنحن جميعاً في مأزق.

الحل الإلهي هو أن يدفع ابن الله الوحيد كممثل للبشرية ثمن كسرنا لشريعة الله وذلك بأن يتحمل دينونة الله الواجبة علينا بسبب خطايانا وذلك بموته على الصليب. وبهذا فإذا وضعنا إيماننا بيسوع، فإن الله سيحسب موته كما لو كان موتنا، وعليه سنجد أن عقابنا قد دفع ثمنه يسوع، وبالتالي فإن الله يمكن أن يبررنا، وأن يعلن لنا أننا مبررون أمام كرسي القضاء الإلهي.

وإليك ما يقدمه الكتاب المقدس بخصوص هذا الحل الإلهي:

«إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ، مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ، لإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ

الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ. لإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، لِيَكُونَ بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ».(رومية٣:٢٣-٢٦).

هل يعني هذا أن جميع الرجال والنساء مُبرَّرون تلقائياً؟ كلا. مرة أخرى بحسب ما ورد في المثل، نجد أن الفريسي لم يتبرر بل العشار، وهذا لأنه عندما وقف أمام الله، وقرع على صدره وأقر بخطاياه، وأدان نفسه، وأعترف بأنه يستحق العقوبة بعد أن كسر شريعة الله. ثم بالإيمان، ألقى بنفسه على رحمة الله قائلا: «أللهمَّ إرحمني أنا الخاطئ». وعندها برره الله هناك، وبهذا أعلن الله أنه في الجانب الصواب وأنه على إتفاق معه، وحر من عقوبة الخطية، مبرر مرة واحدة وإلى الأبد.

علاوة على ذلك يخبرنا الكتاب المقدس أنه «كَمَا وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ الدَّيْنُونَةُ»(عبرانيين ٩:٢٧). فهذا يعني أن الله لا يدعونا للمثول أمام عرش قضائه في كل يوم من حياتنا. بل سيكون هناك يوم دينونة واحد، وسيتم بعد أن نموت. في ذلك اليوم سَيُعِلن حُكمٌ واحد بوضوح، بعد أن يتم إستعراض كامل للحياة.

والشيء الرائع هو أنه ليس علينا الإنتظار حتى يوم الدينونة حتى نعرف ماذا سيكون الحكم الصادر ضدنا (أنظر أيضاً يوحنا ٥:٢٤). يخبرنا الله أن أولئك الذين وضعوا ثقتهم في المسيح فإن موت المسيح- الذي تم مرة واحدة نيابة عن الجميع على الصليب - كافٍ لتغطيةٍ كاملةٍ للجميع ويعطي حياة أبدية أمام محكمة الله. لذا فليس لديهم ما يخشونه، وحيث أنهم تبرروا من خلال الإيمان بالمسيح، فإنهم مبررون إلى الأبد، وبهذا يكون لهم سلام دائم مع الله (رومية٥:١).

**لأن المؤمنين تبرَّروا من خلال الإيمان بالمسيح فإنّهم مبرَّرون إلى الأبد**

ولتلخيص ما وصلنا إليه حتى الآن: إذا كنا نسأل، «على أي أساس يمكن أن نكون مبررين أمام الله؟» فإن الجواب الذي يعطيه العهد الجديد هو: «إِذًا نَحْسِبُ أَنَّ الإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ»(رومية٣:٢٨). وهنا يسأل سائل «لماذا يتكلم العهد الجديد في موضع آخر: «تَرَوْنَ إِذًا أَنَّهُ بِالأَعْمَالِ يَتَبَرَّرُ الإِنْسَانُ، لاَ بِالإِيمَانِ وَحْدَهُ». (يعقوب٢:٢٤). أليس في هذا تناقض؟».

## معنى التبريـر بالأعمال

لا، ليس تناقض. لأن يعقوب يستخدم مصطلح 'تبرير' في سياق أخر: ليس لإعلان شخصٍ ما أنه في الجانب الصحيح، ولكن لإثبات وإعطاء مبرر من أن هذا الشخص هو في الجانب الصحيح، وعلى الشخص إظهار ذلك أمام الناس بالأعمال. ومن المؤكد أن الإنسان يمكنه أن يُعلن تبريره مع الله هنا على الأرض من إيمانه وليس من أعماله. ولكن الطريقة الوحيدة التي يمكن للشخص المبرر أن يثبت لعائلته وأصدقائه أن لديه هذا النوع من الإيمان، هي من خلال الطريقة التي يتصرف بها، وهذا هو، المعنى للتبرير من خلال أعماله.

لنفترض أن رجلاً أخبر أصدقاءه: «في الأسبوع الماضي وصلتني رسالة تقول لي إن أحد أقربائي الأغنياء قد مات وترك لي مبلغاً كبيراً جداً من المال. وكل ما يلزمني القيام به هو الذهاب إلى البنك وإستلام هذه الهدية المجانية. وأنا آمنت بالرسالة، واستلمت الهدية، وأنا الآن غني جداً».

ألن يكون لأصدقاءه الحق في الرد: «حسناً، أنت تقول انك صرت غنياً ببساطة لأنك آمنت بما ورد في الرسالة. ولكن رجاءً بيّن لنا من خلال تغيير نمط حياتك حقيقة إيمانك، ليس الأمر إلا مجرد قصة أنت قد أختلقتها. برر قصتك بأعمالك». حتى أولئك الذين تبرروا من قبل الله من خلال الإيمان وليس من أعمال يجب أن يثبتوا أن إيمانهم كان، ولا يزال، حقيقياً. وهناك طريقة واحدة فقط بها يمكن أن تثبت أن إيمانك حقيقي، وهي كما قال يعقوب، من خلال أعمالك.

# ٦

# الفدية والفداء

## ثمن الحرية

في هذا الفصل سندرس إثنين من المصطلحات الحاسمة في العهد الجديد. هما «الفدية» و «الفداء».

والمعنى الحرفي لهما يُستَخدم اليوم كما كان يستخدم في الزمن القديم، وكما هو الحال في بلدان كثيرة، عندما يتم إختطاف أشخاصٍ وإحتجازهم كرهائن، فإن الخاطفين يطلبون فدية- وهي مبلغ كبير من المال- من أُسر وأصدقاء الرهائن مقابل الإفراج عنهم، وفي هذا العصر عندما يقوم بعض الإرهابيين بخطف طائرةٍ مثلاً، فإنهم يهددون بقتل الركاب واحداً تلو الآخر، أو يهددون بتفجير الطائرة بأكملها، ما لم تتم الإستجابة لمطالبهم وقد لا يطلبون فدية من المال، بل قد يكون مطلبهم هو الإفراج عن بعض رفاقهم الإرهابيين الذين سبق وأن تم إعتقالهم وسجنهم من قبل الحكومات. وفي هذه الحالة، يَرِد إستخدام كلمات مثل «ثمن»، «تكلفة»، «فدية»، ولكن إستخدامها الآن يكون على الإستعارة أو مجازياً، وبالتالى نقول إن الإفراج عن الإرهابيين هو الثمن الذي سوف تضطر الحكومة لدفعه «فدية»، لحماية الركاب من الموت، وإلا خاطروا بتفجير الطائرة.

من المهم أن نلاحظ هنا إستخدام كلمة «إفتداء» إذا كنت تقوم بإخراج شخصٍ من السجن والعبودية، أو عتق شخصاً من خطر الموت، إلى الحرية. ولكن لا يمكن إستخدام عبارتي «فدية» أو «فداء» لوصف الأموال الفاسدة التي يدفعها بعض رجال الأعمال، في بعض البلدان، الذين هم على إستعداد لدفع مبالغ طائلةً لشراء فتيات صغيرات من آبائهنّ الفقراء لأجل إستعبادهن في الخطايا القذرة وكان بإمكانهم أن يشتروا – أو يفدوا - هؤلاء الفتيات ليحرروهن من العبودية بدلاً من إستعبادهن.

في بعض الأحيان يقوم الناس بإفتداء أشياء يمتلكونها مثلاً، إذا إحتاج شخصٌ ما مالاً بشكل إضطراري، عندها قد يقرر أن «يرهن» ساعته حيث يأخذ وسيط الرهن الساعة ويعطي مقابلها مبلغاً من المال. ولكن لا تؤول ملكية الساعة في الحال إلى وسيط

الرهن، إنما تبقى بشكل واضح ملكاً لصاحبها الأصلي، لكنه لن يسترجع ساعته المرهونة ما لم يتم دفع المال الذي أخذه من الوسيط، وبالطبع سيتجاوز الثمنُ الذي عليه دفعه المبلغ الأصلي الذي سبق وإستلفه حين رهن ساعته.

وعليه، فإننا في تعابيرنا اليومية، نجد كلمات مثل «فدية» و «فداء» تحمل معانىَ متعددة ومختلفة، بعضها حرفي، وبعضها مجازي وبالمثل فإن العهد الجديد، وفي السياق اللاهوتي، يستخدم هذين المصطلحين في المعنى المجازي وهنا لا يوجد أدنى تفكير حول مبادلات مالية. إذ يقول الرسول بطرس: «عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ» (١بطرس١:١٨). ولكن من خلال إستعراضنا لإستخدامات هاتين الكلمتين في العهد الجديد، يمكن أن نتناولهما وفق المعانى التاليةِ:

١.شراء أو إسترجاع أو تحرير أشخاص من ديونهم أو من العبودية، أو من السجن أو من أى تهديد بعقوبة ما، أو حتى من الموت.

٢. دائماً ما يرتبط معني الكلمتين بشخص الله أو المسيح بأن يُقال اشترانا أو افتدانا ولا يقال عن أى إنسان أنه افتدى نفسه أو افتدى إنسان آخر.

٣. دفع ثمن، أو فدية. ومرة أخرى ترتبط هذه التعابير بشخص الله أو المسيح، بأن يُقال دفع الثمن أو تحمل تكلفة الفدية. ولا يُطلب من الناس أبداً، ولا يُسمح لهم، بالمساهمة بأي شيء في تكلفة فدائهم وهذا يتعارض بشكل صارخ مع العديد من الديانات التي تلزم تابعيها بأن يجتهدوا ويعملوا من أجل خلاصهم، وتَحَمُّل تكلفة شخصية عن أنفسهم- بأن يتألموا مثلاً- ثمناً لهذا الخلاص، أو حتى بدفع الأموال، فحين كان الكهنة والتجار في الهيكل يوحون للشعب بأن يدفعوا مالاً لنيل خلاصهم، قام المسيح بطردهم خارج الهيكل (يوحنا٢:١٣-١٦).

**«عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ»**

**(١بطرس١:١٨)**

٤. إن غاية الفداء هي دائماً دعوة الناس إلى التحرير والحرية وإلى أن ينعموا بالنصيب الأبدي.

**الحريه من ماذا؟**

١- التحرر من الشعور بالذنب من الخطايا السالفة. لا يمكن لأحد أن يمحو الماضي. والله نفسه لا يستطيع أن يغيِّر ما سجله التاريخ ولأن ما حصل قد حصل، فما يقدمه الله لنا من خلال المسيح هو تحريرنا من مذنوبية الخطايا السالفة.

كثير من الناس ما زالوا عالقين في شباك الماضي. وبقدر ما يجتهدون لمحاولة نسيان ما حدث، والأنطلاق نحو بداية جديدة، فإنهم أعجز من أن يتخلصوا من الشعور بالذنب من خطاياهم السالفة. وهناك آخرون من الذين ضمائرهم خاملة، يقومون بكل بساطة بالقفز فوق الماضي، مثل الزانية في سفر (الأمثال٣٠:٢٠) والتي: «أَكَلَتْ وَمَسَحَتْ فَمَهَا وَقَالَتْ: «مَا عَمِلْتُ إِثْمًا»» ولكن هذا الإستهتار لا يكسر قيود الذنب الحقيقية (لسنا معنيين هنا بالتحليل النفسى لإشكالية الذنب).

حدث قبل عدة سنوات، أن قام بعض اللصوص في بريطانيا بالإستيلاء على محتويات قطار، وأصابوا سائق القطار بإصابات بالغة سببت له إعاقة مدى الحياة، وهربوا إلى أمريكا الجنوبية بعد أن غَنِموا ملايين الجنيهات الإسترلينية وهناك قاموا برشوة السلطات مقابل عدم تسليمهم كمجرمين إلى بلدهم فربما اليوم لا يشعر هؤلاء اللصوص- بعد كل هذه السنين - بذنبهم وذلك بفعل مرور الزمن، ولكن هذا الشعور الكاذب لا يبدل من حقيقة أمرهم، فإنهم لو عادوا ووطئوا أرض بلدهم، على الفور سَيتِم القبض عليهم ومحاكمتهم وسجنهم، وهكذا مع كل رجل وإمرأة، يوماً ما سيجدون أنفسهم في المحاكمة وجهاً لوجه أمام الله وأن مجرد مرور السنين، والذاكرة القصيرة، لن تستطيع أن تمحو الماضي الذي يقيدهم ولا أن يخلِّهم منه، فالقيد سيظل إلى الأبد.

**إنّ الفداء فهو يعني أن الله قادر على كسر القيود عنّا في هذه الحياة إن قررنا الندم والتوبة**

أما الفداء فهو يدل على أن الله قادر على كسر تلك القيود عنا في هذه الحياة إن قررنا الندم والتوبة ويُسَمَّى هذا الفعل من كسر القيود بالمغفرة. ففي الأصل اليوناني للكلمة في العهد الجديد، نجد أن الكلمة الأكثر شيوعاً للغفران هي (aphesis) وتعني «العتق» أو «تبرئة

الذمة». وهي الكلمة التي تُستخدَم لإطلاق سراح شخص ما من السجن، أو إعفاء مدين من دينه، أو جعل عبدٍ حُراً. إن ثمن أو تكلفة هذا العتق هي مدفوعة بالكامل من قبل المسيح: «الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا» (أفسس١:٧)، إذاً إنكسر القيد ولا يمكن إستبداله بقيدٍ آخر، فالفداء الذي تكلفه المسيح تصل فعاليته للخلاص الأبدي (عبرانيين٩:١١-١٢)

٢- التحرر من لعنة ناموس الله. «اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا» (غلاطية٣:١٣)

فاللعنة الصادرة من ناموس الله الأدبى هي ليست شكلاً من الكلمات الفارغة التي بلا معنى. بل هي النطق بعقوبة تتبع كل من تجاوز على ذلك الناموس. بعض الناس يتجنبون الدخول في الحديث حول هذا الأمر قائلين أنهم لا يؤمنون بالله، وأنهم لا يعترفون أيضاً بحقه إما بالأوامر والنواهي أو بفرض أى عقاب، ولكن جدالهم زائف لأن ناموس الله مكتوب في دواخلهم (رومية١:١٤-١٦). لأننا في كل مرة نواجه شخصاً ما بتصرفه اللاأخلاقى، وفي نفس الوقت نُقدِّم أعذاراً لأنفسنا عن بعض الأخطاء الأخلاقية، وفي كل مرة نُحدّث أنفسنا بوجوب حسن التصرف بشكل أفضل ثم نعود ونتصرف بذات السلوك وربما بدون قصد، فنحن نُقِر ونعترف أن الناموس الأدبي مكتوب في قلوبنا، وبأننا نُصادِق على سلطان وصلاحية الناموس ومرجعيته الحاكمة ومثلما نستخدم إستعارات من العهد الجديد، نجد أن ناموس الله مكتوبٌ في قلوبنا، لأننا بينما نُوجِّه إتهاماتنا للآخرين، ونُعطِي الأعذار لأنفسنا على ذات الأخطاء الأخلاقية، ونُقرِر أننا سنُحسِن التصرف بشكل أفضل، يُشبِه هذا الأمر توقيعنا وخَتْمِنا في أسفل الوثيقة إقراراً وتعهداً بصلاحية وسلطان هذا الناموس بما يحويه من مطالب وعقوبات.

وعليه فإن أولئك الذين يمتنعون عن فعل التوبة، سيتواجهون بهذه الوثيقة الموقعة والمختومة بأسمائهم عليها، وستكون شاهدة عليهم وضدهم عند الدينونة الأخيرة، وأما أولئك التائبون النادمون فلهم تأكيد من الله بأنه شطب وأزال ما تم الإقرار به من قِبَلِهم في الوثيقة لأن المكتوب يشهد ضدهم، وهذا «الإقرار» الذي يُدِينَهم وضدهم قد سُمِّر على صليب المسيح وبموجبه يُعلِن الله على الملأ أمام الكون كله بأنه بموت المسيح على الصليب، تَحَمَّل المسيح لعنة الناموس لأجل كل الذين أعلنوا توبتهم ووضعوا ثقتهم فيه، وأطلقهم أحراراً (أنظر كولوسي٢:١٣-١٥)

## تكلفة الفداء

إن الفدية المطلوبة لفداء الجنس البشري لم تكن أقل من موت المسيح. والواقع، أنه هو نفسه أعلن أن هذا هو الغرض الرئيسي من مجيئه إلى أرضنا: «لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (مرقس١٠:٤٥). «عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ»، كما يقول الرسول في ١بطرس١:١٨-١٩ «بِدَمٍ كَرِيمٍ... دَمِ الْمَسِيحِ». وحتى نستوعب ونفهم ثقل وضخامة تكلفة هذا الفداء، علينا أن نتذكر من هو المسيح:

«الَّذِي لَنَا فِيهِ الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا. الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ. فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ... الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ» (كولوسي١:١٤-١٧).

**لقد تَحَمَّل المسيح لعنة الناموس لأجل كل الذين أعلَنوا توبتهم ووضعوا ثقتهم فيه، وأطلقهم أحراراً**

وبتعبير آخر وأدق، فإن المخلص الفادي ليس سوى الخالق المتجسد. فيسوع هو الله والإنسان معاً وبناءً عليه يمكن أن يكون بمثابة الوسيط بين الله والإنسان، ويقدم نفسه فدية لأجل الجميع (١تيموثاوس ٢:٥-٦) إن الأمر ليس كما يُخَيَّل إلى البعض بأن يسوع، الذي أحب البشرية، كان عليه أن يدفع الفدية عنا لإلهٍ قاسٍ ليُثنيه عن صب جامات غضبه على الجنس البشري، فإن الذي دفع الفدية هو الله نفسه، والمحبة التي حركت أحشاء المسيح ليبذل نفسه فدية عن البشر كانت التعبير المثالي عن محبة الله الآب للبشرية؛ وحيث أن السيد المسيح هو نفسه الله، فقد كان الصورة المثالية والتعبير البهي عن الله غير المنظور كما يعلنها العهد الجديد: «فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ، لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اَللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا». (١يوحنا٤:١٠)

ولكن قد يقول أحدهم في هذا الشأن: «إذا كان المسيح يسوع لم يدفع الفدية إلى الله، فلمن يكون قد دفعها؟ لأن الفدية يجب أن تُدفع لطالبيها» ولكن قولاً من هذا القبيل يعنى أننا نسينا ما كنا لاحظناه في وقت سابق، حيث أن مصطلح «فدية» في سياقات العهد الجديد يُستخدَم كرمز وإستعارة للتعبير عن التكلفة الواجبة إلى الله وإلى المسيح لأجل خلاصنا والتكلفة هنا لم تكن مادية من دفع مالٍ (فضةٍ أو ذهبٍ) والذي يمكن أن يُدفع إلى

طرف ثالث. بل كانت التكلفة الآماً وموتاً، ولشرح هذا دعونا نتصوَّر قارباً للنجاة مكتظاً بالأشخاص ويواجه خطر الغرق، ثم يأتي شخصٌ ويتطوع بالقفز خارج القارب ملقياً بنفسه في مياه البحر البارد المتجمد، مع العلم أن فعلته هذه ستكلفه حياته، وتعليقنا المباشر على عمله سيكون أن هذا الشخص قد دفع ثمناً باهظاً جداً لإنقاذ أرواح ما تبقى من الركاب. ولكن من السخافة أن نسأل: «لمن دفع هذا الشخص حياته ثمناً لنجاة الآخرين؟»

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: بما أن الكتاب المقدس يعلمنا بأننا خليقة الله، ولذا فنحن مقتناه وملكيته. فلماذا يجب أن يدفع الله فديةً، أو أي شيء على الإطلاق، ليشتريَ أو يسترجع ما يملكه أصلاً؟ من المفروغ منه أننا قيدنا أنفسنا بعاداتٍ خاطئةٍ، أدت بنا لتسليم أنفسنا للشيطان، وهكذا أصبحنا أسرى لديه فلماذا لا يقوم الله عز وجل بكل بساطة بممارسة سلطانه وقدرته، ويدمر الشيطان، ويكسر قيودنا، ويسترجع البشرية لنفسه بالقوة، دون الحاجة إلى دفع أي فدية؟

الجواب هو أن مسألة الخطية هي مسألة أخلاقية أدبية، وأنه لا يمكن تسوية القضايا الأخلاقية والأدبية بالقوة. هناك بعض الأمور التي حتى الله سبحانه وتعالى لا يقوم بها أو ينقضها فعلى سبيل المثال لا يقوم بأشياء مستحيلة منطقياً مثل رسم دائرة مربعة الشكل أو أن يخالف ناموسه الأدبي وهو لا يمكنه أن يكذب (تيطس١:٢) وهو لا يكسر قانونه الأخلاقي لأن قوانينه هي تعبير وإنعكاس لشخصيته الخاصة «إِنْ كُنَّا غَيْرَ أُمَنَاءَ فَهُوَ يَبْقَى أَمِينًا، لَنْ يَقْدِرَ أَنْ يُنْكِرَ نَفْسَهُ». (٢تيموثاوس١٣:٢) لذا فهو لا يستخدم سُلطاتِه بطريقة تعسفية لكي يخلصنا من قيود الشعور بالذنب وكانت الطريقة الوحيدة لخلاصنا تبدأ بدفع مطاليب الناموس الأدبي وقد قام بذلك بكل الحب بالنسبة لنا. ولذا كانت التكلفة هي الآلام والموت.

### الحرية لأجل ماذا؟

لقد لاحظنا، في وقت سابق، أنه إذا قمنا بشراء شخص ما لنستعبده، فإن الثمن الذي ندفعه لا يمكن أن نسميه فدية، أما الآن فقد دفع المسيح الفدية ليخلص البشر من ذنوب خطاياهم ويمنحهم الحرية. ولكن ما هو الهدف من هذه الحرية؟ حتماً، الهدف ليس لنبقى سالكين في الخطية دون مُساءلةٍ مع الإفلات من العقاب. لأن الخطية تتسم بالإدمان وتصنع عبيداً من الذين يستمرون في فعلها دون ندم وتوبة (رومية٦:١٦-٢٣).

على أن الكتاب يعلمنا عن هدف المسيح من فدائه لتابعيه وتحريره لهم:

«لأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَتْ نِعْمَةُ اللهِ الْمُخَلِّصَةُ، لِجَمِيعِ النَّاسِ، مُعَلِّمَةً إِيَّانَا أَنْ نُنْكِرَ الْفُجُورَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَالَمِيَّةَ، وَنَعِيشَ بِالتَّعَقُّلِ وَالْبِرِّ وَالتَّقْوَى فِي الْعَالَمِ الْحَاضِرِ، مُنْتَظِرِينَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ اللهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غَيُورًا فِي أَعْمَال حَسَنَةٍ»(تيطس٢:١١-١٤).

سنتناول في فصل لاحق كيف يضمن المسيح أن هذه الطريقة الجديدة للحياة تُفضي إلى حياة الحرية، وليس لعبودية دينية. لكن حتى الآن يمكننا ملاحظة، أن العهد الجديد يعلمنا بوضوح تام بأننا لم نحصل بعد على النتائج الكاملة لعمل الفداء هنا والآن. حيث أن من الفوائد التي حصلنا عليها من فداء المسيح هو «فداء أجسادنا المادية»، ولكن علينا الإنتظار إلى مجيء المسيح الثاني لكي يتم هذا الفداء (رومية٨:١٨-٢٥؛ فيلبي٣:٢٠-٢١).

ومن ناحية أخرى، فإن الله يعطي هنا والآن، لجميع الذين يتوبون ويضعون ثقتهم في المسيح عطية الروح القدس. والروح القدس هو من يؤكد لجميع المؤمنين أمانة وصدق جميع وعود الله، وهو نفسه عربون وعهد للميراث الكامل الذي سيؤول إليهم يوماً ما، عندما يتمم الله كل ما قدمه من وعود، ويأخذ لنفسه إلي السماء كل الذين إشتراهم قبلاً بدم ابنه (أفسس١:١٣-١٤؛ أعمال٢٠:٢٨).

**إن الله يعطي هنا والآن،**
**لجميع الذين يتوبون ويضعون**
**ثقتهم في المسيح، عطية الروح القدس**

# ٧

# الحياة الأبدية

## في الحاضر والآن

أحد التصريحات المهيبة التى قالها المسيح عندما كان هنا على الأرض أن لديه سلطاناً ليعطي الحياة الأبدية لمن يتبعه (يوحنا١٧:١-٣).

وكثيراً ما سخر النقاد من هذا الإدعاء، إذ إفترضوا أن يسوع قد وعد أتباعه بعدم الموت جسدياً ومن ثم- وعلى أساس هذا الإفتراض- إدَّعوا أن يسوعَ مخادع ديني متعصب، إذ أنه هو نفسه مات بعد وقت قريب جداً من هذا التصريح كما مات جميع أتباعه بعد ذلك الحين.

ولكن هذا النقد يستند على جهلٍ كبير بما قاله يسوع. فأقل لمحة على العهد الجديد تُبين لنا أن يسوع ليس فقط قد أعلم تلاميذه بأنه سيُصلب قريباً، لكنه قال لهم أنه بعدما يمضي يجب أن يكونوا مستعدين لوضع حياتهم لأجله (لوقا٩:٢٢؛ ١٢:٤؛ يوحنا١٦:١-٣). بمعنى آخر فإن تصريح يسوع بأنه يعطي أتباعه الحياة الأبدية لا يعني أبداً أنهم لن يموتوا جسدياً.

وللنقاد إفتراء آخر أكثر خطورة وهو: أن «الحياة الأبدية» هي شيء يفترض أن الشخص الصالح يحصل عليه بعد إنتقاله من هذا العالم وبعبارة أخرى، «يذهبون إلى السماء عندما يموتون». وبهذا إزدرى النقاد بالحياة الأبدية بإعتبارها خطراً وأنها قضية من واقع الخيال. وصَوّروا أنها كما يقول المثل الشعبي: «الجوعان يحلم بسوق العيش». وبالمثل يُفَضِّل الفقراء والمظلومون والبائسون والمرضى إختراع سماء وهمية لتسكين آلام الحياة وتخفيف مآسيهم. ولكن الملحدين، يزعمون بأنهم لا يحتاجون لأي من هذه المُخَدِّرات إذ يقول أحدهم «الدين أفيون الشعوب». وهم يعتبرون أن لديهم الشجاعة والذكاء الكافي للكفاح من أجل تحسين حياتهم، وفي النهاية سيواجهون الحقيقة الصارخة للموت دون تخدير لعقولهم بآمال وهمية عن السماء بعد الموت.

ومع أنه صحيح تماماً أن العهد الجديد يُعلّم أن المؤمن «سيذهب إلى السماء عندما يموت»، لكنه يعرضها بشكل مختلف إلى حد ما، إذ يقول «أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ»، و«نَتَغَرَّبَ عَنِ الْجَسَدِ وَنَسْتَوْطِنَ عِنْدَ الرَّبِّ» (فيلبي١:٢٣، ٢كورنثوس٥:٨). ولكن يوجد اتهام من النقاد بأن هذا الرجاء واليقين- بالوصول للسماء في المستقبل- يُضعف، إن لم يكن يدمر، جهاد الإنسان لتحقيق الإستفادة القصوى من وجوده هنا على الأرض. ولكن هذا الإتهام زائف، لأن العهد الجديد يتكلم بوضوح أن الحياة الأبدية ليست شيئاً نحصل عليه عندما نموت ونذهب إلى السماء، بل هي الحياة التي يمكننا الحصول عليها والتمتع بها هنا والآن على وجه الأرض لمدة من الزمن قبل أن نموت وندخل السماء. وبهذا قدم العهد الجديد بُعداً آخر للحياة، يتجاوز مجرد الحياة الجسدية والعاطفية والفكرية التي يتمتع بها البشر بشكل طبيعي. حياة جديدة أشار إليها المسيح عندما قال: «لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ».

تخيل زواجاً ليس أكثر من مجرد إرتباط جسدي، بمعنى أن الزوجان لا يتحدثان إلى بعضهما البعض، ولا يتشاركان فيما بينهما بالأفكار العميقة، ولا بآمالهما، ولا أفراحهما، ولا أحزانهما ولا مخاوفهما، ولا حبهما للموسيقى أو الفن، ولم يتعرفا حتى على بعضهما البعض. أن مثل هذا الزواج يكون أكثر قليلاً من التزاوج بين الحيوانات. إنه يفتقر إلى البعد الإنساني الحقيقي. وبالمثل يكون الإنسان الذي يريد الإستمتاع بالحياة على المستوى الجسدي والعاطفي والفكري فقط، ولكن لا يعرف شيئا عن العلاقة الروحية مع الله فهو يفتقد إلى مستوى أعلى من الحياة هنا والآن. وعلاوة على ذلك، فهو قد يتعرض لخطر كبير بأن يفقد الحياة الأبدية في العالم الآتي. والعهد الجديد واضح من جهة الحياة الأبدية: «الَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ»، لاحظ الفعل المضارع، له حياة أبدية هنا والآن. ومن ناحية أخرى، فهو يضيف التحذير بأن: «الَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ» (يوحنا٣:٣٦).

**إنّ الإنسان الذي لا يعرف شيئاً عن الحياة الروحية مع الله فهو يفتقد إلى مستوى أعلى من الحياة هنا والآن**

عند هذه النقطة، نحن بحاجة إلى إدراك بُعد آخر: الحياة الأبدية التي يُعلن عنها العهد الجديد ليست هي الوجود الخالد حيث أن البشر جميعهم سيختبرون

فناء أجسادهم، ولكن جميعهم خالدون إلى الأبد. وبعضهم سيوجد في هذه الحالة الروحية التي يدعوها الكتاب المقدس، ليس «الحياة الأبدية»، بل «الموت الثاني» (رؤيا يوحنا٢٠:١١-١٥؛ سنصل إلى دراسة هذا الموضوع في نهاية هذا الكتاب).

عند هذه النقطة فإن بعض النقاد، ربما يحتجون بأن كل حديث عن الحياة الأبدية- والتي يمكن أن يتمتع بها الإنسان في هذه الحياة- هو شكل من أشكال الخداع النفسي الذاتي. هو مجرد وهم، بلا إجابات على أي حقيقة موضوعية. ولكن الشيء نفسه يمكن أن يقال عند أي تقدير للفن، وسيكون هناك الكثير من المغالطات أيضاً على حد سواء. صحيح أن هناك من ينظر إلى تحفة فنية ويرى فيها مجرد نقط من الطلاء على قماش، وصحيح أيضاً أن المكفوفين لايمكنهم تذوق فن الرسم على الإطلاق، ولكن هذا لا يثبت أن عالم الفن ليس موجوداً، أو أن التمتع بالفن هو شكل من أشكال الخداع النفسي الذاتي. بعض الناس عُمي جسدياً وبالطبع لا يستطيعون الإبصار. كنت أعرف رجلاً كان يمتلك القليل من البصر وهو طفل، ولكن سرعان ما فقد بصره وأصبح أعمى تماماً، وقال لي أنه في كثير من الأحيان لا يريد أن يبصر حتى لو كان ذلك ممكناً وكان سعيداً بحاله لأنه كان خائفاً من أنه إذا أبصر، فسوف يصبح مشوشاً بسبب آلاف الأشياء التي كان يمكن أن يراها، وسوف تصبح الحياة معقدة جداً، قال أنه يفضل بساطة الحياة بدون البصر.

وبالمثل، هناك العديد من الذين يشعرون بأن الحياة ستصبح معقدة للغاية، وسوف يضطرون إلى عمل الكثير من التغيرات الجذرية، إن إعترفوا بوجود الله وإمكانية الحصول على الحياة الأبدية. أنهم يُفَضّلون بساطة الإلحاد. وهكذا يزعمون أن «الله» و«الحياة الأبدية» هي كيانات وهمية. ولكن زعمهم هذا لا يثبت غير ذلك، بل يظهر مدى العمى الروحى الذي يعانون منه.

إذاً، ما الذي يعنيه أن تكون لك الحياة الأبدية؟

١. أن تكون لك الحياة الأبدية يعني مشاركة الله في حياته: في مصطلحات العهد الجديد، نجد أن الإنسان ميت إلى أن يدخل في علاقة شخصية مع الله ويتعرف عليه، فهو لم يمت جسدياً، ولكنه ميت روحياً.

والمثل الكتابي الشهير لهذا هو مثل «الإبن الضال» والذي يقدم توضيحاً جيداً على

إستخدام كلمة 'ميت' في هذا المعنى. فقد تحدث الأب مع إبنه الأكبر بعد عودة إبنه الضال، وقال:

«وَلكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسَرَّ، لأَنَّ أَخَاكَ هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًّا فَوُجِد» (لوقا١٥:٣٢).

إن الإبن الضال أدار ظهره لوالده، وتَخَلَّى عن المنزل، وذهب إلى أرض بعيدة. ولم يكن لديه محبة، أو رغبة في العيش مع والده. لم يكن يتواصل مع والده، ولم يهتم بما يهتم به والده، ولا يعنيه ما يريده والده منه، ولهذا بالنسبه للآب كان هذا الابن ميتاً.

لكن هذا الإبن الضال «رجع إلى الحياة» عندما تاب، وعاد إلى بيته وتصالح مع الآب. وبالمثل، فعندما يتوب الإنسان الذي تجاهل الله وكان ميتاً روحياً، ويتصالح معه، فإنه يبدأ في الحياة روحياً.

ولكن هناك ما هو أكثر من ذلك. عندما يتوب الناس ويرجعون إلى الله، لا يكتشفون الله فحسب، كمن يكتشف العالم المجيد للفن الذي كان ميتاً بالنسبة لهم تماماً من قبل. لكن عندما يتوب الناس، ويرجعون إلى الله ويضعون ثقتهم في المسيح، يخلق الله داخلهم حياة جديدة لم تكن هناك من قبل. ولنستخدم مصطلحات العهد الجديد مرة أخرى، إن الله «يسرع» لهم، ويُنجِب فيهم شخصيته الروحية، تماماً كما يطبع الآب البشري شخصيته الجسدية في طفله الذي ينجبه.

**عندما يتوب الناس ويرجعون إلى الله ويضعون ثقتهم في المسيح، يخلق الله في داخلهم حياة جدية لم تكن هناك من قبل**

«اللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ (بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ)» (أفسس٢:٤-٥).

بالمقارنة: فإن اللمبة الكهربائية، لا تُضِئ عند إخراجها من علبتها، أو حتى عند تشغيل مفتاح الإنارة، أو وضعها في الغرفة المطلوب إضاءتها، بل هي تضئ بكفاءةٍ، فقط عندما يتم توصيلها بالدائرة الكهربية وتسري فيها الكهرباء المركزية، الآن يُحيط باللمبة ضوءٌ مصدره الكهرباء المركزية، ولكنها لا تزال لا تُضِيء بنفسها، بل ستبقى ميتة حتى يتم

توصيلها إلى ذات التيار الكهربائي الواصل إلى محطة الكهرباء المركزية وعندما يحدث ذلك، ويسري التيار الكهربائي في اللمبة، أنظر كيف ستصبح اللمبة «على قيد الحياة».

٢. الحياة الأبدية هي عطية لكي تقيم علاقة شخصية مع الله: أجهزة الكمبيوترالحديثة فيها برامج تُمَكّنها من التعرف على صوت مُستَخدِميها. كل ما يحتاج الشخص القيام به هو التحدث في وجود جهاز الكمبيوتر وجهاز الكمبيوتر سوف يكتب كل ما يقوله في شكل حروف على الورق. لكن الكمبيوتر لن يعرف أبداً مُستخدِمُه بنفس الطريقة التي يعرف بها الأنسان طفله أو زوجته، بل إن جهاز الكمبيوتر لن يحب من يستخدمه كما يحب أى شخص أبناؤه وبناته. ولكن عندما يلد الإنسان أطفاله ويُعطيهم حياته الخاصة، فإن الاطفال يتلقون القدرة على معرفة وحب والديهم والإستمتاع بعمق العلاقة معهم.

وبالمثل، عندما ينقل الله حياته الروحية الخاصة للناس، فهي تجددهم، وتشكل العلاقة بينه وبينهم، مما يجعلهم يعرفونه ويحبونه. ولهذا يقول العهد الجديد أن: «هذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ» (يوحنا١٧:٣)، وعندها ستكون لنا شركة مع الله ونتشارك نفس حياة الله من خلال المسيح (راجع ١يوحنا١:١-٤).

**عندما ينقل الله حياته الروحية الخاصَّة للناس فهي تجدِّدهم وتشكِّل العلاقة بينه وبينهم**

٣. الحياة الأبدية هي هدية الحاضر، وميراث الأبدية: وهذا يفسر كينونة الحياة الأبدية، وكما يُعلَن من إسمها، فهي أبدية. وعندما يشكل الله هذه العلاقة الروحية مع شخص ويتقاسم حياته مع هذا الشخص، هذه العلاقة هي بحكم التعريف أبدية. الموت المادي للجسد لايؤثر على هذه العلاقة ولا ينهيها، وعندما يخلق الله علاقة شخصية مع شخص من خلال هبة الحياة الأبدية، سيبقى مخلص لهذا الشخص وسيحفظ العلاقة إلى الأبد. قال السيد المسيح: «وَأَنَا أُعْطِيهَا (خرافي) حَيَاةً أَبَدِيَّةً وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي» (يوحنا١٠:٢٨).و العهد الجديد يقول: «لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يوحنا٣:١٦).

من ثم الحياة الأبدية لا تتأثر بالموت الجسدي للإنسان، والذي نختبره هنا على الأرض، ويُشَبِّه العهد الجديد هذا الجسد بالخيمة، لأنها مناسبة تماماً لإقامتنا الأرضية المؤقتة، ولكنها هشة نسبياً وقابلة للهدم بسهولة، على النقيض من ذلك، ففي القيامة كل مؤمن سيتلقى جسداً ممجداً، مصمماً للتعبير عن إسترداد شخصيته المتقنة، والتي وصفها العهد الجديد بأنها بناءٌ: «فَلَنَا فِي السَّمَاوَاتِ بِنَاءٌ مِنَ اللهِ ابدي» (٢كورنثوس١:٥).

علاوة على ذلك، وجنبا إلى جنب مع الحياة الأبدية تأتي كل تلك الأشياء الأبدية الأخرى التي يعطيها الله لجميع الذين هم على إستعداد لقبول المسيح. لذلك يشير العهد الجديد إلى أن الخلاص هو أمرٌ أبديٌ (عبرانيين٩:٥)؛ وأن الفداء وآثاره هو أيضاً أمرٌ أبديٌ (عبرانيين١٢:٩)، والميراث الموعود به للذين يؤمنون بالله هو أمرٌ أبديٌ (عبرانيين١٥:٩)، والمجد الذي سيأتي بسبب أحداث الحياة، من تحمل تجارب ومعاناة، بالنسبة لأولئك الذين يحبون الله، هو أمرٌ أبديٌ بالمثل (٢كورنثوس١٧:٤). والشيء الرائع هو أن الحياة الأبدية هي عطيَّة مجانية، وهي تُعطَى لجميع أولئك الذين- في توبة حقيقية وإيمان- قبلوا يسوع المسيح مخلصاً ورباً على حد سواء: «أَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ، وَأَمَّا هِبَةُ اللهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (رومية٢٣:٦).

**إنّ الحياة الأبدية هي عطيّة مجانيَّة، وهي تُعطى لجميع أولئك الذين قبلوا يسوع مخلِّصا وربًّا على حياتهم**

## الدافع للحياة الأبدية

إن الحياة الأبدية، هي مثل الحياة المادية، ليس لها طور ثابت. فكما أن كل طفل يولد ولديه حياة جسدية، ولكن في الأسابيع والشهور والسنوات المقبلة عليه أن يتعلم تطوير كل إمكانياته. كذلك هو الحال مع الحياة الأبدية فهي مليئة بالإمكانيات، ودائماً مفعمةً بالأمل في المستقبل. ويحض العهد الجديد أولئك الذين حصلوا على الحياة الأبدية بالقول: «وَأَمْسِكْ بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي إِلَيْهَا دُعِيتَ أَيْضًا»، تماماً كما يتم تحفيز الشاب الذي لديه القدرة على أن يصبح رياضياً عالمياً على عدم إهمال موهبته، وأن يستغلها إلى أقصى حد (١تيموثاوس٤:٧-٨؛ ٦:١١-١٢). والمكافأة الرئيسية لتطوير إمكانات الحياة الأبدية هي القدرة المتزايدة للتمتع بتلك الحياة. وأضاف

العهد الجديد أن «مَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنَ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً» (غلاطية٦:٨). فكلما تَمرَّن الرياضي أكثر، فهو إنما يُطَوِّر قلبه ورئتيه وعضلاته، وتنفسه. وكلما طور كل أجهزة جسمه كلما تمتع بالقدرة على الجري أكثر.

بطبيعة الحال، سيحتاج التدريب الجاد من الرياضي إلى الإنضباط، وإنكار الذات، ووحدة الهدف، والعمل الجاد. وإذا أراد أي شخص رياضي الفوز بالجائزة في بطولةٍ للألعاب، فعليه الحفاظ على قواعد اللعبة. وإذا لم يحفظ تلك القواعد، فهو لن يفقد حياته فقط، لكنه بالتأكيد لن يفوز بأي جائزة. وهذا هو الحال مع الحياة الأبدية. فإنه لتطوير إمكاناتها وجني أقصى قدر من المكافآت، فإن الذي يملكها يجب أن يكون مستعداً «لِنَطْرَحْ كُلَّ ثِقْل، وَالْخَطِيَّةَ الْمُحِيطَةَ بِنَا بِسُهُولَةٍ، وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا» (عبرانيين١٢:١). ويجب أن يكون على إستعداد لإنكار النفس، وحمل الصليب عبر الحياة اليومية وإتِّباع المسيح. ويجب أن يتعلم تطوير ضبط النفس وذلك «للحفاظ على قواعد اللعبة». وإلا سيتم إستبعاده من الحصول على أي جائزة (١كورنثوس٩:٢٤-٢٧؛ ٢تيموثاوس٢:٥).

ولكن الشيء الرائع عن الحياة الأبدية هو هذا: أنها تُمكِّن أولئك الذين يملكونها من العيش بطريقة إيجابيةٍ أبديةٍ، بحيث أن الخبرات والمسئوليات والملذات، والآلام التي يواجهونها في هذا العالم الفاني يمكن أن يكون لها تأثير يُسفِر عن مكافأةٍ أبديةٍ (يوحنا١٢:٢٥؛ ٢بطرس١:٥-١١).

إمكانية معرفة أن لنا حياة أبدية: يرى بعض الناس، وحتى بعض المتدينين، أنه من المستحيل أن يكون المرء متأكداً في هذه الحياة أن لديه حياةً أبديةً. لذلك من الجيد أن نعرض نصاً كتابياً من العهد الجديد حول هذا الموضوع، الذي وجب بحثه بعمق في فصلٍ لاحق، ولكننا هنا، سنعرض النص نفسه:

> «وَهذِهِ هِيَ الشَّهَادَةُ: أَنَّ اَللهَ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ فِي ابْنِهِ. مَنْ لَهُ الابْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنُ اللهِ فَلَيْسَتْ لَهُ الْحَيَاةُ. كَتَبْتُ هذَا إِلَيْكُمْ، أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ، لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لَكُمْ حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلِكَيْ تُؤْمِنُوا بِاسْمِ ابْنِ اللهِ» (١يوحنا٥:١١-١٣).

# ٨

# التوبة

## أكثر من أن تكون معتذراً

حتى الآن، درسنا المصطلحات التي أستخدمها العهد الجديد لوصف ما قد فعله الله لكي يصالح، يبرر، يفدي، يخلص، ويجدد الجنس البشري. والآن علينا أن نبدأ في دراسة المصطلحات التي تصف ما يجب علينا فعله للإستفادة مما فعله الله في الماضى، وما يقوم به في الحاضر، وما سوف يفعله في المستقبل.

أول هذه المصطلحات هو «التوبة». وبالرجوع إلى ما نادى به المسيح جِهاراً في أول أيام خدمته، إذ كان يقول: «قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ» (مرقس١:١٥).

**التوبة هي أيضاً أمرٌ صِحيٌّ مثل المطر الذي يُرَطِّب الأرض ويسمح للبذور أن تبت وتنمو**

وكما أخبرنا المسيح، التوبة هي مُنَاسبةٌ لفرحٍ عظيمٍ: «أَقُولُ لَكُمْ: يَكُونُ فَرَحٌ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ» (لوقا١٥:١٠). التوبة هي أيضاً أمرٌ صِحيٌّ. مثل المطر الذي يُرَطِّب الأرض ويسمح للبذور أن تنبت وتنمو، كذلك التوبة تفتح الطريق أمام الحياة الروحية وهذا ما يصفه العهد الجديد: «إِذًا أَعْطَى اللهُ الأُمَمَ أَيْضًا التَّوْبَةَ لِلْحَيَاةِ!» (أعمال الرسل١١:١٨).

ومع أن التوبة هي أمر معقد ولكونها حقيقيةٌ، وصحيةٌ، وفعالةٌ، فإنها تحتاج لأن نمتلك جميع مكوناتها الضرورية. التوبة الكاملة، على سبيل المثال، قد تتضمن حزناً صحياً: «لأَنَّ الْحُزْنَ الَّذِي بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يُنْشِئُ تَوْبَةً لِخَلاَصٍ بِلاَ نَدَامَةٍ» (٢كورنثوس٧:١٠). من ناحية أخرى، نجد أن الحزن الذي لم يَرقَ إلى التوبة الكاملة، ليس فقط غيرَ فعال- لأنه لا يؤدي إلى الخلاص والحياة- لكنه أيضاً مدمرٌ. «وَأَمَّا حُزْنُ الْعَالَمِ فَيُنْشِئُ مَوْتًا» (٢كورنثوس٧:١٠).

وهناك مثالٌ حيٌّ على ذلك الحزن وهو يهوذا الذي خان المسيح. فهو عندما رأى أن يسوع قد تم الحكم عليه، «تَوَّب نفسه». وحاول التراجع عن الشر الذي قام به، ولكن كان هذا الأمر مستحيلاً. وكان يمكن، بطبيعة الحال، أن يركض إلى الصليب ويصرخ إلى يسوع طالباً الرحمة والصفح كما فعل اللص التائب. ولكن كلا، توبته لم تكن التوبة الكاملة الصحية التي يدعونا لها العهد الجديد. توبته لم تتجاوز ببساطة الأسف والندم. وهذه التوبة لا تؤدي إلى الحياة والخلاص، بل على العكس، خرج يهوذا وشنق نفسه (متى٢٧:٣-٥).

في سياق الترجمة والإستعمال الشائع، نلاحظ أن المعنى الذي يقصده العهد الجديد من التوبة كثيراً ما تشوه، ولذا فإننا يجب أن ندرس الكلمةَ بعنايةٍ كبيرةٍ. في اللغة اليونانية الأصلية للعهد الجديد، نجد كلمتين للتوبة:

١ . كلمة «ميتانويا» والفعل المرتبط بها «metanoeo». والمعنى الأساسي لها هو «تغيير العقل». قد نجد وقد لا نجد بعض العواطف والمشاعر المختلفة المرافقة، أو المؤدية لهذا التغيير في العقل. ولكن العنصر الأساسي للمعنى اليوناني هو فكري وذهني. هو ممارسة لحكمٍ أخلاقيٍ داخلي.

٢. كلمة «ميتاميلوماى» والفعل المجرد «metamelei». وهما أيضاً يُستخدمان للتعبير على فكرة التوبة، ولكنها تحمل المزيد من التركيز على الحزن الناتج عن فعل شيء ما في الداخل.

إذاً التوبة هي في المقام الأول تغيير في الفكر، هي تغيير معاكس للإتجاه السابق لشخص ما في حكمه الأخلاقي، وتعني التنصل من سلوكه القديم. التوبة هنا تحمل في معناها جانباً سلبياً. ولهذا فإن العهد الجديد يتحدث عن التوبة من الأشياء الزائفة والشريرة، على سبيل المثال، «التَّوْبَةِ مِنَ الأَعْمَالِ الْمَيِّتَةِ» (عبرانيين٦:١). ولكن لها أيضاً جانباً إيجابياً: «التَّوْبَةِ إِلَى اللهِ» (أعمال الرسل٢٠:٢١). لاحظ كيف يؤكد المقطع التالي على العنصر الفكري في التوبة (أفكارنا وأفكار الله)، والجانب السلبي هو (تخلي الإنسان عن طريق الشر)، والجانب الإيجابي هو (العودة إلى الرب).

«لِيَتْرُكِ الشِّرِّيرُ طَرِيقَهُ، وَرَجُلُ الإِثْمِ أَفْكَارَهُ، وَلْيَتُبْ إِلَى الرَّبِّ فَيَرْحَمَهُ، وَإِلَى إِلهِنَا لأَنَّهُ يُكْثِرُ الْغُفْرَانَ. لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ» (إشعياء٥٥:٧-٨).

## التوبة في ثلاثة مجالات

هناك ثلاثة مجالات رئيسية فيها نحن مدعوون للتوبة:

١. فيما يتعلق بالله: من الواضح، أنه إذا كنا ملحدين، فإن التوبة سوف تعني التخلي عن الإلحاد والإعتراف بوجود الله. ولكن ليس فقط الملحدين هم الذين يحتاجون التوبة إلى الله. فمن الممكن أن تؤمن في وجود الله، ولكنك تتجاهله في الممارسة، وتتجاهل جميع أوامره للتوبة والخلاص، وتهزأ بنواميسه وتعيش كما لو أنه لم يكن موجوداً. إلى درجة أكبر أو أقل، وهذا صحيح مع جميعنا، إذ يقول الكتاب: «مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا» (أشعياء٥٣:٦).

**إذا كنّا ملحدين فإنّ التوبة سوف تعني التخلي عن الإلحاد والإعتراف بوجود الله**

التوبة لا تعني شيئاً أقل من هذا: «رَجَعْتُمْ إِلَى اللهِ مِنَ الأَوْثَانِ- (أي شيء نتمسك به بديلاً عن الإله الواحد الحقيقى)-، لِتَعْبُدُوا اَللهَ الْحَيَّ الْحَقِيقِيَّ» (١تسالونيكي١:٩).

٢. فيما يتعلق بأنفسنا: يتطلب العهدُ الجديد مستويين متميزين من التوبة. ولنبدأ بتوضيح الفرق بين المستويين حيث أنه أمر يسهل التغاضي عنه بسهولة وإليك مثال للتوضيح:

رجل في الخمسين من عمره، وهو ليس على ما يرام صحياً، ذهب إلى الطبيب. وبعد فحوصات مستفيضة، أخبره الطبيب أن سبب مرضه هو الإفراط في التدخين. فيجيبه المريض: «طيب، لم أكن أدرك ذلك، الآن عرفت، وأنا أتوب عن ذلك، من فضلك أعطني شيئاً لمساعدتي في التخلي عن التدخين».

حتى الآن الأمور جيدة. قد تاب الرجل عن خطية التدخين الفردية. لكن الطبيب قال: «حسناً، أنت حكيم لتقلع عن التدخين، ولكن الإقلاع عن التدخين لا يمكن أن يخلصك وينقذك. فقد دمرت تقريباً الرئتين، وألحقت أضراراً بالغة بقلبك. الشيء الوحيد الذي سينقذك هو السماح للجراحين بإجراء عملية زرع لقلب ورئتين جديدتين».

والآن السؤال المطروح والحاسم هو: هل سيكون الرجل على إستعداد للتوبة عند

المستوى الأول فقط؟ أم سيتفق مع الطبيب في أن حالته سيئة جداً، لدرجة أن مجرد التخلي عن التدخين وحده لن ينقذه؟ وأنه يحتاج بشدة إلى قلبٍ جديدٍ ورئتين جديدتين، وبهما فقط سيتمكن من الخلاص والنجاة.

الآن لنفترض أن الرجل رفض تشخيص الطبيب قائلاً: «لا، أنا لست مستعداً لهذه العمليةِ الجذرية. إن مرضي ليس بهذا السوء. وأنا واثق أنه إذا توقفت عن التدخين، سوف أكون على ما يرام». تُرى ماذا سيحدث له؟ إنّه حتماً سيموت قريباً جداً.

من ناحية أخرى، إذا تاب المريض عند المستوى الأخير، وإتفق مع تشخيص الطبيب، وخضع للعملية، وأستلم قلباً ورئتين من شخص آخر، فإنه لا يزال مهماً أن يتوب عن خطية التدخين. وسيؤكد عليه الجراح جيداً عند مغادرته المستشفى: «أنا أُصر الآن على أن تقلع عن التدخين تماماً. وإذا حدث وأستسلمت لإغراء التدخين مرة أخرى، تعال إليّ سريعاً، وأنا سأعطيك شيئاً لمساعدتك في التغلب على الإغراء».

**التوبه تعني الإتفاق مع الله في حكمه علينا**

وهكذا هو الحال معنا. فقد كان حكم الله هو أننا سيئون للغاية، لدرجة أن التوبة عن الذنوب الفردية، وإن كانت مهمة، لكنها لا يمكن أن تُخلِصنا. نحن بحاجة إلى ما يمكن أن نسميه التوبة الراديكالية الجذرية. وهي تعني الإتفاق مع الله في حُكمِه علينا، ليس فقط فيما يتعلق بخطايانا، ولكن أيضاً فيما يتعلق بأنفسنا. والمقصود ليس فقط ما قمنا به، ولكن ما نحن عليه. حكم الله هو ليس فقط أننا قد اخطأنا في الماضي، أو أننا في الوقت الحاضر ما زلنا نُقَصِّر في معايير قداسته (رومية٣:٢٣)، ولكن أننا بحسب طبيعتنا نحن «أَبْنَاءَ الْغَضَبِ» (أفسس٢:١-١٣). طبيعتنا خاطئة وتستحضر إستياء الله. هذا لا يعني، بطبيعة الحال، أن كل جزء منا هو سيء بدرجة بالغة. بل يعني أنه لا يوجد جزء منا خالٍ من الأضرار التي تسببت فيها الخطية.

إن شجرة ما لا تصبح شجرة تفاح لمجرد أنها تحمل التفاح. لكنها تحمل التفاح لأنها بالفعل بطبيعتها شجرة التفاح. وإذا أخذت منها كل ثمار التفاح المرئية، ستبقى شجرة التفاح. ببساطة إعترافنا بخطايانا الفردية، قليلة أو كثيرة، يشبه قطف التفاح من الشجرة. وهذا الفعل لا يتعامل مع مشكلة ما نحن عليه من طبيعة في داخلنا.

فالحقيقة هي أننا، كما قال يوحنا المعمدان، أشجار »رديئة« تستحق أن تقطع وتلقى في النار (متى٣:١٠).

ومع ذلك، فإن كثير من الناس يرفضون قبول حكم الله. إنهم يرفضون التوبة. هم مستعدون للإعتراف بأن سلوكهم كان خاطئاً، وربما أخطأوا خطأً شنيعاً. وقد يعترفون حتى أن هناك مناطق مظلمة في شخصياتهم. لكنهم يتشبثون بفكرة أن كل ما عليهم القيام به هو التوبة من أفعال ماضيهم الشريرة، والسعي بعون الله لكسر عاداتهم السيئة. إنهم يأملون أن ذلك سيتركهم أشخاصاً صالحين وهذا ما شعروا به، مع وجود فرصة جيدة في التأهل لسماء الله.

ولكن هذا مجرد وهم، كما أشار المسيح نفسه:

«لأَنَّهُ مَا مِنْ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تُثْمِرُ ثَمَرًا رَدِيًّا، وَلاَ شَجَرَةٍ رَدِيَّةٍ تُثْمِرُ ثَمَرًا جَيِّدًا. لأَنَّ كُلَّ شَجَرَةٍ تُعْرَفُ مِنْ ثَمَرِهَا. فَإِنَّهُمْ لاَ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ تِينًا، وَلاَ يَقْطِفُونَ مِنَ الْعُلَّيْقِ عِنَبًا» (لوقا٦:٤٣-٤٤).

فليس من فائدة لشجيرة الشوك بأن تقول: «أعترف أنني أنتجت عدداً غير قليل من الشوك. ولكن أنا لست شجيرة شوك حقاً، أنا أساساً شجرة تين».

إذاً التوبة الجذرية، تعني التخلي عن تقديراتنا الخاصة بنا عن أنفسنا والإتفاق مع حكم الله بأن التوبة من خطايانا الفردية لا يمكن أن تنقذنا. نحن بحاجة لحياة روحية جديدة من مصدر خارج أنفسنا. هذا المصدر هو المسيح الذي مات من أجلنا، وحيٌّ الآن ليُخلِّصنا.

**بالمعمودية يعترف المعتمد علانيّة بأنه قد قبل حكم الله عليه بأنّهُ يستحق لا شيء آخر غير الموت والدفن**

وهذه هي، في الواقع، الأهمية التاريخية للمعمودية المسيحية، فإن المعمودية التي يشرحها العهد الجديد (رومية٦:٣-٤)، هي الدفن الرمزي، لأن فيها يعترف المُعتَمِد علانيةً بأنه قد قبل حُكمَ الله بأنه يستحق لا شيء آخر غير الموت والدفن. إنها ليست عملية سحرية من خلالها تتنقى وتُغتَسل الأجزاء الشريرة من الشخص بطريقة أو بأخرى،

وتُترك الأجزاء الصالحة لتنمو وتزدهر. كلا، ففي المعمودية يُدفن الشخص كله تماماً كما هو الحال في العالم المادي. فعندما يتم الحكم على رجلٍ ما بتهمة القتل، فإن الرجل كله يخضع للموت والدفن، ليس فقط طباعه السيئة أو غيرته التي جعلته يرتكب جريمة القتل. وبالمثل، يتم تنفيذ الحكم على الشخص بالقتل، فإن حكم الموت يضع حداً ونهايةً لحياة الشخص كلها. ليس فقط بإلغاء وإستقطاع حياته الماضية أو حتى الحاضرة، وتركه ليعيش بقية حياته القادمة بأفضل ما يستطيع. كلا، هناك حُكم نهائي بأن: «تنتهي كل حياته». بحيث أن الموت لن يتكرر أبداً.

لذلك عندما مات المسيح من أجل خطايانا، قد مات مرةً واحدةً، ولن يموت أبداً مرة أخرى، لأنه لن يحتاج إلى ذلك (انظر رومية٦:٨-١١). وأن موته قد سدد ثمن العقوبة الكاملة عن خطايا أولئك الذين يقبلونه كمُخلِّصٍ عن خطايا كل حياتهم بالكامل، الماضي والحاضر والمستقبل. وعندما يَعتَمُد شخص بعد ذلك، فهو يُعلِن بمعموديته عن قبوله المسيح بوصفه البديل والمنقذ المقدم له من قبل الله، وأنه في قبوله المسيح قد أصبح واحداً معه، مثل الرجل والمرأة اللذين يصيران جسداً واحداً عندما يتزوجان (١كورنثوس٦:١٥-١٧). وبالتالي في نظر الله، عندما مات المسيح، فقد مات المؤمن معه، وعندما دُفن المسيح، دفن المؤمن معه، وأنه من الناحية القانونية هذه هي نهاية حياته الخاطئة للأبد. فهو يقول ما قاله الرسول بولس: «مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ» (غلاطية٢:٢٠).

**عندما يعتمد شخص، فهو يُعلن بمعموديته عن قبوله المسيح بوصفه البديل والمنقذ المُقدم له من قِبل الله**

وبالتالي المعمودية أيضاً هي قيامة رمزية. فهي تدل على أنه مثلما أقام الله المسيح من بين الأموات، كذلك يُعطِي الله لكل من يَقبَل المسيح حياة روحية جديدة تماماً؛ أنها ليست تحسيناً للحياة القديمة بعض الشيء، ولكنها حياةٌ جديدةٌ لم يَحصُل عليها قط من قبل. أنها حياة المسيح نفسه. وبالتالي يمكن للمؤمن أن يقول بصدق متحداً مع الرسول بولس:

«مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي

الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي». (غلاطية٢:٢٠).

فمن نافلة القول، بطبيعة الحال، أن المعمودية ليست سوى رمز. فإنها لا تؤثر على الموت والقيامة التي ترمز لهما. هي مثل خاتم الزواج. المرأة غير متزوجة يمكنها وضع خاتم الزواج، ولكن هذا لا يعني أنها تزوجت الآن. الخاتم يصبح مهماً فقط بعد أن توافق على قبول الرجل كزوج لها. لذا على المرء أن يتوب بالمعنى الراديكالي الذي ناقشناه ويقبل المسيح قبولاً شخصياً كمخلص له قبل أن يعتمد. خلاف ذلك تكون المعمودية رمزاً فارغاً، وتمثيلاً لشيءٍ غير حقيقيٍّ.

٣. فيما يتعلق بخطايانا: وهي المجال الثالث الذي فيه نحن مدعوون للتوبة. إن الشخص الذي تاب توبةً جذريةً، وقبل المسيح هو الآن حر من الناحية القانونية. لم يعد يحتاج إلى النضال من أجل تحسين نفسه ومن أجل الحصول على القبول مع الله، فهو بالفعل مقبول. ولكن على وجه التحديد لأن الله قد قبله لأجل المسيح، فسيتوقع الله منه أن يُنتِج ويُثمِر نوعية السلوك المسيحي الحقيقى في الحياة. وسوف يَعنِي ذلك قراءة كلمة الله لإكتشاف ما المواقف والأفعال التي ينظر إليها الله على أنها خاطئة ومن ثم يتوب عنها، ويطلب قوة المسيح ومعونته للتغلب عليها. وعندما يسقط في الضعف والإغراء، وذلك سيحدث من وقت لآخر، وعليه الإعتراف إلى الله، والوعد هو: «إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ». (١يوحنا١:٩). هذا النوع من التوبة، إذاً، هو توبة العمر كله. وسيكون هناك أحتياج للتوبة لأن تكون تكراراً يومياً (رؤيا٢:٥، ١٦، ٢١؛ ٣:٣).

**إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ**

**ميزات أكثر للتوبة الصادقة**

١. التوبة ليست مجرد كلمات. لكنها سوف تُصدِر في السلوك ما يؤكد أن التوبة قد حدثت وهذا ما قاله يوحنا المعمدان. «فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ» (متى٣:٨).

٢. في نفس الوقت، التوبة لا تُستحَق ولا تُعطى خلاصً. غفران الخطية لا يعتمد على شدة الحزن على الخطية، ولا يمكننا أن نكتسبه بأي أعمال للتكفير عن الخطية. يظل الغفران هو عطية مجانية تماماً وغير مكتسبة تُقدم لخطاة مفلسين وتُقبل فقط من خلال الإيمان. هذا هو السبب في أن «التَّوْبَةِ إِلَى اللهِ» يجب أن يكون تكون مقترنة بِ «الإِيمَانِ الَّذِي بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (أعمال الرسل٢٠:٢١).

٣. التوبة هي أمر عاجل. «فَاللهُ الآنَ يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا» (أعمال١٧:٣٠-٣١). المسيح نفسه ذكر لنا: «إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ» (لوقا١٣:٣و٥).

# ٩

# الإيمان

## ليس قفزة في الظلام

في الفصل السابق، رأينا أنه من أجل الإستفادة من كل ما قام به الله فى الماضي، وما يقوم به في الحاضر، وما يُعِدُّه نحو البشر في المستقبل، يجب أن تكون أول خطوة نخطوها هي التوبة إلى الله. والخطوة الثانية هي الإيمان بربنا يسوع المسيح (أعمال٢٠:٢١).

وبحسب العهد الجديد، شروط الخلاص هي:

أ) «لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ» (أنه ابن الله، ورب شخصي لحياتك)

ب) «وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اَللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ» (رومية١٠:٩).

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: كيف يأتي هذا الإيمان؟

### صعوبات في الإيمان: الإيمان والعلم

في الوقت الحاضر يمكن أن نسمع تصريحات لأشخاصٍ كثيرين كالتالي: «نود أن نؤمن بالله والمسيح، ولكن من الصعب للغاية بالنسبة لنا أن نؤمن بعد سنوات كثيرة من التلقين عن الإلحاد. بالنسبة لنا يبدو الإيمان كما لو أنه شيء تعسفي. ففي العلم يمكن أن يكون لديك الدليل والبرهان، وأنت لا تحتاج إلى الإيمان. ولكن في المسيحية عليك أن تركن عقلك على الإيمان دون أي إثبات وبلا أي دليل. إنه يشبه القفز من النافذة على أرض الملعب في ليلة سوداء مع إبقاء عينيك مغلقة، على أمل أن تقع بسلام في مكانٍ ما».

ويرى آخرون أن الإيمان يشبه القدرات الفنية: إما أنك تمتلكها أو لا تمتلكها، ولا يوجد شيء يمكنك القيام به حيال ذلك.

كل هذه الآراء غير صحيحة، وعلاوة على ذلك، فِكرة أن العلم لا ينطوي على الإيمان هي كاذبةً أيضاً. ففي الواقع، الإيمان أمر أساسي لكل المساعي العلمية. قال ألبرت أينشتاين: «إن الإيمان بأن الكون بما يحتويه من الأشياء الموجودة هو في متناول الإنسان وعقله،

وأن القواعد السارية للكون هي عقلانية ومقبولة، وهي تنتمي أيضاً إلى مجال الدين. ولا أستطيع أن أتخيل وجود علماء أذكياء ممن لا يشاطروني هذا الإيمان العميق».

وبالطبع، هناك بعض العلماء والفلاسفة الذين يشككون فيما إذا كان الكون موجوداً من الأساس وأمراً واقعياً أم لا. لديهم إقتراح بأنه موجود فقط في عقول ومعادلات العلماء أنفسهم. ويزعمون أن نظريات العلماء لا تقدم الإجابة على أية حقيقة موضوعية. ولكن، ولأسباب مفهومة، هذه هي وجهة نظر أقلية ضئيلة. وتؤمن الغالبية العظمى أن الكون الذي فحصوه، إما بشكل مباشر أو من خلال أجهزتهم، هو موجود فعلاً. وأنه لم يُخلق من قبل ملاحظاتهم، أو قياساتهم، أو فرضياتهم، أو نظرياتهم، أو تجاربهم، أو تفسيراتهم. هم قبلوا بالكون كأمرٍ مفروغٍ منه. صحيح أنهم إكتشفوا تفاصيله، مثل الجزيئات الأولية، والتي لم يعرفوا مسبقاً بوجودها. ولكن هذه التفاصيل كانت موجودة قبل إكتشافهم لها. إذاً، العلماء لم يخلقوا الكون بدراساتهم، لكنهم ببساطة يحاولون فهم ذلك. وتحقيقاً لهذا الغرض، فإنهم يُكرِّسون عقولهم ودراساتهم لإيجاد الأدلة المقدمة من الكون، ثم يمتحن كل عالم حقيقة نظرياته التي إفترضها من قبل إلى أي مدى يمكن أن تظهر، من خلال التجربة، والأدلة.

الآن يؤكد الكتاب المقدس وجود الكون لأن الله أوجده، إنه خالقه. هو من تحدث إلى حيز الوجود بكلمته الخالقة المبدعة (تكوين١؛ يوحنا١:١-٤؛ عبرانيين١١:٣). وهذا إعلان لعقل الله، وتعبير عن تفكيره الخَلاَّق. وفي دراسةٍ لهذا الأعلان، فإن العالم الباحث، سواء كان يعلم أو لا، فهو يبحث ويتأمل في أفكار الله من نحوه، كما قال كيبلر.

وبالمثل يؤكد الكتاب المقدس أن الله نفسه هو الذي كشف عن نفسه من خلال الخليقة كما كشف لنا بالمثل عن نفسه من خلال ابنه يسوع المسيح. المسيح ليس هو خالق الكنيسة أو الناتج من التكهنات الدينية واللاهوتية. يُطلَق عليه في الكتاب المقدس «كلمة الله» لأن به كَشَف الله عن نفسه وتَحدَّث إلينا رجالاً ونساءً بصورة أكثر مباشرةً ووضوحاً عن أي وقت مضى، حتى من خلال الخليقة. ففي الخلق، أخبرنا الله عن قوته وجلاله. أما في المسيح - كلمة الله - أخبرنا الله بما في قلبه. ومهمتنا إذاً، هي دراسة الأدلة المقدمة من إعلان الله عن ذاته في المسيح، تماماً كما يدرس العلماء الأدلة المقدمة من إعلان الله عن ذاته في الخلق.

**من خلال الخليقة أخبرنا الله عن قوته وجلاله. أما في المسيح أخبرنا الله بما في قلبه**

الآن نجد ملاحظةً حقيقيةً وهي أن العلماء يشعرون بالقلق من التفسيرات العلمية البسيطة جداً. لقد تعلموا من خلال التجربة أن الكون دائماً ما يقدم لنا ما هو غير متوقع، ويقدم الظواهر التي لا يمكن تفسيرها إلا بما يبدو أنه تَحدٍّ للحس الطبيعي العادي. لكنهم وبالرغم من صعوبة الفهم، لكنهم لا يرفضون هذه التفسيرات الصعبة من كل ناحية. في الواقع، إنهم مستعدون لأن يقبلوا هذه التفسيرات بدلاً من قبول الأراء السطحية التي للبسطاء، والإقرار النهائي لثقتهم هو أنه عندما يبدأون في عمل التجارب بناءً على أساس إفتراضاتهم، أنها تنجح وتعمل.

كذلك إعلان الله عن ذاته لإنسانٍ في المسيح يسوع. كما نعلم، فإن العهد الجديد يدعي أن المسيح هو الله وإنسان. ويبدو هذا التأكيد لكثير من الناس أنه في تباين كامل مع الإدراك الطبيعي. وعندما وجدوا أنه ولا حتى الكتاب المقدس نفسه يقدم شرحاً كاملاً لكيفية أن المسيح هو الله وإنسان في وقت واحد، فهم يميلون إلى رفض ذلك باعتباره أسطورةٍ بدائيةٍ. ولكن هذا لا يرتقي أن يكون كرد فعل العلماء، كما سبق وأوضحنا.

أولئك الذين واجهوا يسوع المسيح عندما كان هنا على الأرض إكتشفوا منذ البداية، بطبيعة الحال، أنه كان بالحقيقة إنساناً. وفي الوقت نفسه، وجدوا أنه قدَّم ظواهر لا جدال فيها تثبت أنه كان أعظم بكثير من مجرد إنسان. وكان التفسير أن المسيح هو الله وإنسان في نفس الوقت. وإذا كان لنا أن نسأل كيف نستطيع أن نُصدِّق هذا التفسير، فإن العهد الجديد يوجهنا إلى الإختبارات والتجارب التي يمكننا أن نجعل من شأنها أن تثبت لنا صحة هذا التفسير (يوحنا٧:١٦-١٧؛ ٢٠:٣٠-٣١). في الواقع، يدَّعي العهد الجديد أن يسوع المسيح لم يكن فقط شخصيةً تاريخيةً، قام من بين الأموات، ولكنه شخصٌ حيٌّ، يمكننا التواصل معه.

### ولماذا قراءة العهد الجديد؟

ولكن عند هذه النقطة قد يعترض شخصٌ ما قائلاً: «لا فائدة من قراءتي للعهد الجديد. لأنه لكي يصنع فيَّ العهد الجديد أيَّ تغيير للأفضل، ينبغي أولاً أن أؤمن به،

حتى قبل أن أقرأه. وبما أنني لا أؤمن بصحته، لذا لا يوجد أي داعٍ لقراءته». لكن هذا الإعتراض يرتكز على سوء فهم، لأنه يمكن لأيَّ شخصٍ أن يقرأ العهد الجديد بدون أيِّ إلزامٍ للشخص بأن يؤمن به. من ناحية أخرى، إذا لم تكن قد قرأت العهد الجديد بجديةٍ، فلن يمكنك عملياً وبصدق أن تعرف مسبقاً أنه ليس صحيحاً. فأنت لن تأخذ هذا الموقف، من جريدة يومية مثلاً، إلا بعد قراءة العديد من الصحف، وعندها ستعلم ما هي الصحف التي هي عرضة لإحتواء أشياء مغلوطة.

ولكن حتى لهذا السبب لن ترفض قراءة هذه الجريدة. ستقرأ الجريدة، واثقاً بأنه يمكنك تمييز الحقيقة من عدمها، وإذا كنت لا تستطيع في الوقت الراهن القيام بذلك، عندئذ لن تُصرِّح بحكمك. وبنفس الطريقة عليك أن تقرأ العهد الجديد، وبعدما تكون قد قرأته، وبعد ذلك فقط، حَكِّم عقلك ما إذا كان يسوع قد تكلم بالصدق عن الحقيقة أم لا. الإيمان بيسوع لا يمكن أن يأتي إلا إذا قمت أولاً بالإستماع إلى ما يقوله؛ وعندما ترفض حتى الإستماع إليه، فإن هذا ليس دليلاً على البراعة الفكرية: إنه الظلامية.

بالطبع القضايا المطروحة في العهد الجديد هي أكبر بكثير من قراءة تقرير في صحيفة. وفي الواقع، كما رأينا من البداية، أن الشرط الأول للخلاص، كما نص عليه العهد الجديد، هو الإعتراف بيسوع رباً! وهذا ينطوي، بطبيعة الحال، على قبول يسوع بوصفه السيد الوحيد على حياتي، وعلى الإستعداد للإعتراف به على هذا النحو أمام العالم. ولكنه ينطوي على أكثر من ذلك. في العهد القديم الله يقول: «أَنَا أَنَا الرَّبُّ، وَلَيْسَ غَيْرِي مُخَلِّصٌ» (إشعياء٤٣:١١). كلمة «الرب» هنا هي مرادف للإله الخالق. إذا لم يكن يسوع هو هذا الرب، لو لم يكن هو الله في صورة إنسان، إذاً فلن يمكنه أن يخلص أحداً. هذا الإدعاء هائل، وبالتأكيد سوف لا يطالبنا العهد الجديد بأن نؤمن بهذا بدون أن يمدنا بالأدلة التي يستند عليها هذا الإيمان. وبالتالي فإن السؤال هو، ما هي الأدلة التي يقدمها العهد الجديد ليقودنا إلى الإيمان بأن يسوع هو رب؟

### الدليل من شهادة المسيح نفسه

قد يبدو هذا ساذجاً في البداية، ولكن السبب الرئيسي للإيمان بأن يسوع هو ابن الله ليس غير أنه هو نفسه قال ذلك. وفي الحال فإن هذا يثير سؤالاً عن مسألة صحة تصديقه. وهذا وارد جداً، لأنه حتى إذا تم ذكر جميع الأدلة التي لا تدع مجالاً للشك في ألوهيته،

فإن السؤال الجوهري الذي على النفس البشرية أن تقرره عندما تتواجه مع يسوع المسيح هو: هل هو صحيح؟ هل يقول الحقيقة؟ ما القيمة التي نصف بها كلماته التي تتكرر كثيراً «الحق، الحق أقول لكم». إن الوضع هو نفسه مع الله. والسؤال الجوهري ليس هو «هل هناك إله؟». ولكن «هل الله حقيقي؟ وهل يمكن الوثوق به؟». يُسجِّل الرسول يعقوب ملاحظات، بإمتعاض نوعاً ما، بأن الشياطين يؤمنون أن هناك إلهاً واحداً (يعقوب٢:١٩). لكنهم لا يثقون به ولا يطيعونه. وبالمثل كثير من الناس الذين يؤمنون أن الله موجود، لكنهم لا يثقون فيه، كما أنهم ليسوا على إستعداد لأن يلصقوا حياتهم هنا أو في العالم الآتي بالثقة والإيمان بصدق كلامه. إنهم يشعرون أنهم لا يستطيعون.

**والسؤال الجوهري ليس هو «هل هناك إله؟» ولكن «هل الله حقيقي؟ وهل يمكن الوثوق به؟»**

وقد يضيف أحدهم: «لكن لا تتوقع منا التصديق بأن يسوع هو ابن الله، ببساطة لأنه قال ذلك عن نفسه. فليس ذلك معقولاً». وقد أثار معاصروا المسيح نفس هذا السؤال: «أَنْتَ تَشْهَدُ لِنَفْسِكَ»، ثم أتوا بالإستنتاج: «شَهَادَتُكَ لَيْسَتْ حَقًّا». وهذا يعني أنه غير صادق (يوحنا٨:١٣).

المسيح تحدى هذا الإستنتاج غير المبرر على الفور: «وَإِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي حَق، لأَنِّي أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُ وَإِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ آتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ». (يوحنا٨:١٤). لقد كان بكل تأكيد، يشير إلى السماء، المكان الذي أتى منه وسيعود قريباً إليه. لقد تكلم معهم بسلطانه الشخصي. لم يكن لهم أي مبرر مما استنتجوه، لأنه كان الوحيد الذي يمكن أن يقول لهم هذه الأشياء، لذا لم يكن لهم أي مبرر مما أستنتجوه بأن شهادته غير صالحة.

دعونا نستخدم تشبيهاً مع القياس. الناس الذين يعيشون في حوض البحر الأبيض المتوسط لمدة ثلاثة آلاف سنة يؤكدون أنه إذا وقفت في مواجهة الشمس في الظهيرة، فهناك حقيقة لا تقبل الطعن وهي أن الشمس تشرق من جهة اليسار وتغرب في نهاية اليوم من جهة اليمين. والآن أفترض أنه في يوم ما وصل صديق من جنوب أفريقيا، وهو في أول زيارة له إلى حوض البحر الأبيض المتوسط . فهو سيخبرك إنه في بلاده التي جاء منها، إذا وقفت

في مواجهة الشمس في الظهيرة، فإن الحقيقة غير القابلة للطعن هي أن الشمس تشرق من جهة اليمين وتغرب في نهاية اليوم من جهة اليسار. والسؤال هو: هل السكان المحليون للبحر المتوسط لهم الحق في أن يصدقوه؟ إن ما قاله هو على العكس تماماً من كل ما أختبروه ويعرفونه جيداً، وهو يذهب بهم ضد العلم المعاصر وعلم الكونيات. وسيقولون لهذا الغريب: «أنت الشخص الوحيد الذي يخبرنا بما قلته. ولا نستطيع أن نصدق ذلك لمجرد أنك أخبرتنا ذلك. لذلك شهادتك غير صالحة. لا نستطيع أن نؤمن أن هناك دولة في العالم تتصرف فيها الشمس كما أخبرتنا». وعندها يمكنه الأجابة: «حتى لو أنا الشخص الوحيد الذي أخبركم بهذا، ولكن شهادتي صالحة. أنا أعلم البلد الذي جئت منه والذي سأعود قريباً إليه. أنتم لا تعرفون ذلك البلد».. ولابد أنه على حق في جوابه، وشهادته صحيحة، وإذا آمنوا بذلك، فإنهم قد صدقوا ما هو في الواقع حقيقي.

بطبيعة الحال، قد يكون من الصعب على شعوب البحر الأبيض المتوسط أن يؤمنوا بما قاله هذا الغريب القادم من جنوب أفريقيا، لأنه كان هناك العديد مما يسمى «حكايات المسافرين» والتي تحكي عن أشخاص ادَّعوا أنهم ذهبوا إلى أقاصي الأرض، وشاهدوا هناك أشياء خيالية رائعة، ولا شيء من ذلك صحيح، وكانت كلها محض خيال. فكيف يمكن لسكان البحر المتوسط، أن يميزوا بين «حكايات المسافرين» هذه وما قاله الجنوب أفريقي؟ وكيف يمكن لنا نحن أيضاً التمييز بين الأساطير الخرافية الدينية وبين ما قاله المسيح؟

المسيح نفسه أجاب على مثل هذه الأسئلة من قبل لافتاً إلى أنه على الرغم من أن تصريحاته كانت صادقة في حد ذاتها، فقد كان هناك أدلة إضافية تعزز صحة ما ادَّعي: ومن هذة الأدلة كانت معجزاته (يوحنا٥:٣٦). فقد صنع، كما صرَّح، أعمالاً من نوع مختلف ولها أهمية إذ لم يكن لأحد آخر أن قام بها في أي وقت مضى (يوحنا١٥:٢٤). هذه النقطة سنفردها ونُفَنِّدُها في الفصل التالي.

# ١٠

# الإيمان

## هو تجاوب مع الأدلة (الجزء ١)

نُلَخّص الفصل السابق بالقول بأن تصريحات المسيح عن نفسه قد تعززت بالمعجزات التي صنعها. والعهد الجديد يدعو هذه المعجزات بـ «الآيات»، لأنها تشير إلى حقيقة تصريحاته بأنه ابن الله:

«وَآيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قُدَّامَ تَلاَمِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هذَا الْكِتَابِ. وَأَمَّا هذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ» (يوحنا٢٠:٣٠-٣١).

### الدليل المقدم من معجزات المسيح

قد يقول شخص ما: «ولكن ما الدليل بأن المعجزات المسجلة في الأناجيل قد حدثت بالفعل؟». فنحن لم نكن هناك لرؤية المعجزات وهي تحدث. كيف يمكننا التأكد من صحة هذه السجلات؟ وماذا كانت أهمية هذه المعجزات على أية حال؟ ألم يُخبرنا الكتاب المقدس أن آخرين أيضاً، مثل إيليا، قد صنعوا معجزات؟ ولكن تلك المعجزات لم تثبت أن أياً منهم هو ابن الله. فكيف إذاً تثبت معجزات المسيح بأنه ابن الله؟

من جهة الأدلة التاريخية التي تثبت أن يسوع قد صنع المعجزات بالفعل، فنحن نعتمد على شهادة رسل المسيح. وليس لدينا أي سبب مقنع لعدم الثقة بهم، لأن المعجزات يستحيل إثباتها بالعلم، لأنها بديهية وغير قابلة للإثبات.

من الخطأ إذاً أن نسأل: ما إذا كانت المعجزات علمية (أي يمكن إثباتها بالعلم) أم لا، ولكن لأنها أحداث تاريخية فإن السؤال الصحيح هو: هل شهادة الرسل موثوق بها؟

في المقام الأول، نحن على يقين، بأن الرسل لم يكونوا معروفين بالكذب. حيث يورد لنا الرسول يوحنا هذه البديهية: «أَنَّ كُلَّ كَذِبٍ لَيْسَ مِنَ الْحَقِّ» (١يوحنا٢:٢١). لأن

الكذب، في تقديره غير مقبول، حتى وإن كان بسبب قضية نشر الحق الأعظم، ولا يتوافق أبداً مع من صَرَّح: « أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاة « (يوحنا١٤:٦)، وهو الذي نهى بشدة عن كل شهادة زورٍ (متى٥:٣٣-٣٧). لذلك عندما يخبرنا يوحنا بأنه هو وزملائه الرسل قد رأوا يسوع وهو يصنع المعجزات أمام أعينهم، فمن المؤكد أنه يسجل الأحداث التاريخية الفعلية.

ثانياً، ينبغي أن نلاحظ ادِّعاء يوحنا، بأنه عندما سجَّل معجزات يسوع، فهي ليست مجرد تكرار لأقوال شفهية متناقلة. بل لقد كان هو وزملاؤه الرسل 'شهودَ عيان'. أي أن المعجزات التي حدثت وسُجلت، قد تمت «في حضور تلاميذه».

ولكن ثالثاً، والأهم من ذلك، علينا أن نلاحظ طبيعة معجزات المسيح. هي لم تكن فقط حدثاً تاريخياً. لكنها تقدم لنا نوعاً آخر من الأدلة التي تتحدانا حتى اليوم بطريقةٍ ملحةٍ تتجاوز التاريخ. تنبهنا اللغة اليونانية التي كُتب بها العهد الجديد لهذا الأمر. لأن معجزات المسيح، لم تكن تُعمَل بقوة خاصة فقط (باليونانية: dunamis)، وهي أيضاً ليست عجائب مذهلة فقط (باليونانية: teras) لتستأثر أنتباه الناس، ولكنها كانت أيضاً آيات (باليونانية: semeion). وهذه الآيات كانت تشير إلى ما هو أبعد من أن تكون معجزة فقط، إنها تشير إلى شيء أكثر أهمية بكثير من المعجزة المادية نفسها.

خذ على سبيل المثال معجزة إشباع الخمسة آلاف (يوحنا ٦). فإن المعجزة في بدايتها، تمت بواسطة المسيح لإظهار تَحَنُّنِه على جوع الناس الجسدي. لكن ذلك لم يكن قصده الوحيد، ولا حتى قصده الرئيسي. لأن الجموع لابد وأنها شعرت بالجوع في اليوم التالي. ولكن السرد نفسه يخبرنا أنهم عندما جاءوا إلى يسوع يطالبونه بتكرار هذه المعجزة المادية، فإنه رفض أن يكررها. لماذا؟ إذا كان المسيح قد صنع هذه المعجزة الخارقة، لماذا لم يستمر في إستخدامها يوماً بعد الآخر حتى يختفي الجوع المادي من على وجه الأرض؟ ولماذا لا يستمر في فعل ذلك حتى اليوم؟ والسبب قد ذكره ربنا يسوع لأنهم كانوا قد فشلوا في رؤية الهدف الأسمى، أو أنهم قد تجاهلوا عمداً الهدف الأسمى، وخسروا أهمية هذه الآيات الخارقة (يوحنا ٦:٢٦). كان من المفترض أن تكون هذه المعجزات لتنبيههم ليس فقط إلى حقيقة أن يسوع هو خالقهم في هيئة إنسان، بل أيضاً لحقيقة إنه نزل من السماء ليقدم نفسه لهم باعتباره خبز الحياة لسداد جوعهم

الروحي. المعدة، نفسها هي شيء مادي، ولابد من إشباعها بالأشياء المادية. ولكن روح الإنسان، المعطاة له من الله الذي هو روح، لا يمكن أبداً إشباعها بالأشياء المادية ولا بمتعٍ جماليةٍ أو فكريةٍ. لكنها تحتاج إلى الشركة مع شخص، وهذا الشخص ليس سوى خالقها. الذي بدونه، سيُحكَم على روح الإنسان بالجوع الأبدي، وهو ما لن تطفئه عشرات الآلاف من تلك المعجزات المادية.

## لنمتحن حقيقة المعجزات

عند هذا المستوى، يمكننا امتحان حقيقة هذه القصة المعجزية – والقصة هي أنفسنا. فهي تقدم لنا تشخيصاً عن حاجة الإنسان. وهي تُخبِرنا أننا جياع روحياً، سواء كنا على وعيٍ أم لا من معرفة ما (أو بالأحرى، مَن) نحن مُتَعَطِّشون له. هل هذا صحيح؟ نحن نعرف قلوبنا، ويمكننا أن نُقَرر، كل واحد لنفسه، هل هذا التشخيص صحيح؟

بطبيعة الحال، فإن الناس قد تعلموا وتدربوا على قمع جوعهم الروحي. وقد نجح البعض وسوف يدَّعون بصدق أنهم لا يشعرون بأي ألم من جراء هذا الجوع الروحي. لكن هذا قد يكون أحد الأعراض المزعجة. يُقال أن الناس عندما يتضورون الجوع الجسدي بدون أي طعام أياً كان، فإن الأمر يكون مؤلماً جداً في البداية. ولكن بعد فترة سيذهب الألم ولن يعود حتى يكون الموت وشيكاً وحتمياً. ونفس الأمر يسري بالمثل مع المجاعة الروحية ومرحلتها النهائية، الموت الثاني.

**هؤلاء الذين يدركون جوعهم الروحي يقدّم المسيح نفسه لهم بوصفه خبز الحياة**

ولكن لأولئك الذين يدركون جوعهم الروحي، يقدم المسيح نفسه لهم بوصفه خبز الحياة. هل سيشتاقون لهذا العمق الروحي في الحياة ألا وهو الشركة الأبدية مع الله، التي تبدأ هنا على الأرض، وتمتد إلى ما بعد القبر، إلى سماء الله؟ فإن المسيح هو الضامن للحياة الأبدية (يوحنا٦:٢٨-٥٨). وهل سيشتاقون إلى حرية أرواحهم من الظلال الملقاة عليهم من مشاعر الذنب والعبودية للخطية؟ المسيح من خلال موته هو الضامن لذلك أيضاً (يوحنا ٨:٣١-٣٦).

فكيف إذاً، يمكننا التأكد من أنه صادق، وأنه كما أعلن عن نفسه، هو الخالق في صورة إنسان؟ بنفس الطريقة كما نعرف أن رغيف الخبز يمكن أن يسكِّت حقاً جوعنا الجسدي. هكذا بالمثل يكون المسيح هو الخبز لكل من يدركون جوعهم الروحي، إذ يقول المسيح: «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلاَ يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَدًا» (يوحنا٦:٣٥). وكل الذين يأتون إليه ويؤمنون به، يكتشفون أنه صادق وهو الحق.

ننتقل الآن إلى نوع آخر من الأدلة، التي تختلف نوعاً ما عن تلك التي تقدمها معجزات المسيح.

## الأدلة المقدمة من موت المسيح

وفقاً للعهد الجديد، فإنهُ ليس فقط معجزات المسيح هي الدليل الذي يحثنا على الإيمان بالمسيح، أنه هو الله الظاهر في الجسد، بل ويمكننا القول بأن معجزاته ليست هي أعظم الأدلة. حيث إن موت المسيح على الصليب هو أعظم دليل لإيماننا:

> «أَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً (وهذه هي المعجزات)، وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً، وَلكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا... لأَنِّي لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا بَيْنَكُمْ إِلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا... لِكَيْ لاَ يَكُونَ إِيمَانُكُمْ بِحِكْمَةِ النَّاسِ بَلْ بِقُوَّةِ اللهِ... فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ» (١كورنثوس١:٢٢-٢٣و٢:٢؛ ١:١٨).

كيف، إذاً، يكون صليب المسيح دافعاً لإيماننا، وبرهاناً بأنه هو خالقنا المتجسد، ابن الله الحي؟ إنه يفعل ذلك، لأن صليب ابن الله يكشف لنا عن من هو الله حقاً، وكيف نُشَبِّهُه.

**إنّ موت المسيح على الصليب هو أعظم دليل على إيماننا**

من الواضح، إنه إذا كانت قلوبنا راغبة في أن تؤمن به وتحبه، وتثق فيه، فنحن بحاجة أولاً لأن نعرف ماذا يشبه قلب الله. الفلاسفة لم يستطيعوا حتى الآن أن يخبرونا بذلك. فإنه يمكنهم التكهن عن الله، ولكن لا يمكن أن يقولوا لنا ما هو في قلبه. (بل أنهم لن يقدروا أن يخبروننا حتى بما يدور في قلب الشخص المجاور لنا)، ولا حتى كل خليقة الله تستطيع أن تخبرنا. أنها تكشف لنا عن قوته، لكنها لا تستطيع أن تكشف لنا بشكل قاطع عن ما في قلبه. وإذا كنا راغبين أكثر

من أي وقت مضى في معرفة ما في قلب الله من نحونا وكيف يشبه موقف قلبه تجاهنا، كان على الله أن يأخذ زمام المبادرة ويكشف عن نفسه، بشرط أن يفعل ذلك بالطرق التي نستطيع أن نفهمها نحن البشر. ومن ثم تجسد، والكلمة صار جسداً.

ولكن، إذا جاز التعبير، فإن الله لديه مشكلة، وهذه المشكلة هي التي أشار المسيح إليها لمعاصريه. إنهم، على نحو ساخر إلى حد ما، إقترحوا عليه، لكسب الجمهور ليؤمنوا به، أن يسعى إلى أقصى قدر من الدعاية وتنظيم سلسلة كاملة من المعجزات المذهلة. لكنهم لم يعملوا حساباً للصعوبات الأساسية. وقال لهم « لاَ يَقْدِرُ الْعَالَمُ أَنْ يُبْغِضَكُمْ.. وَلكِنَّهُ يُبْغِضُنِي أَنَا، لأَنِّي أَشْهَدُ عَلَيْهِ أَنَّ أَعْمَالَهُ شِرِّيرَةٌ» (يوحنا٧:١-٧). وشهادته هذه لا تنبع من التفاخر وبره الذاتي، ولا من متدين له نظرة ضيقة في التفكير. ولكنه كان هو التعبير الكامل لله، ذاتية تواصل الله في صورة إنسان. لذلك حتماً، هو من كشف عن قداسة الله لحد لم يسبق له مثيل، وكلما فعل ذلك، كلما كشف عن نجاسة الإنسان، وبالتالي وجد استياءً أكثر من الناس، وبالتالى وجد مقاومة أكثر لتصريحاته بأنه ابن الله.

وهذا الأمر مفهوم.فمثلاً، إذا قال لك أحد الأصدقاء أن شيئاً ما مما قمت به كان عملاً حقيراً بالنسبة له، فقد تستاء جداً منه في البداية، ولكن بعد فترة من الوقت، قد تواسي نفسك بهذا الفكر: أن ما ظنه صديقك، لم يكن سوى رأيه، ومن يكون هو بعد كل هذا؟ لذا تقرر أن تتجاهل الأمر. ولكن إذا كان شخصٌ ما يقول لك أنك خاطئ وتستحق دينونة الله، ثم يضيف: «وأنا الذي أقول لك هذا، ابن الله»، فإن رد فعلك الطبيعي، من المرجح جداً، أنك ستسخر من ادعائه بأنه ابن الله، وبعدها إذا أصر على ذلك، ستقاومه بالقوة والحجة. لأنه إذا كان على حق، فأنت وحدك من سيُدان.

**كان المسيح هو التعبير الكامل لله، ذاتية تواصل الله في صورة الإنسان**

الشاعر اللاتيني القديم، لوكريتيوس Lucretius، الذي شرح - في أحد أعماله الطويلة والفخمة - نظرية الذرة اليونانية في وقت مبكر ونظرية التطور الحالي، لإفادة صديقه الرومانى، ويعترف في مقدمة هذا العمل، بما جذبه بقوةٍ لهاتين النظريتين. (Re Rerum Natura, Book١). في المقام الأول، بدا له أن النظريتين هما لإثبات أن الموت يُنهي كل شيء، وأنه ليس هناك ما بعد الحياة، وهذا بدوره،

يُخلِّصُه من كل خوف من العقاب على خطاياه في الحياة القادمة. ولهذا كان يعظ بهاتين النظريتين مع الجميع بكل حماس المبشر.

ولا يزال الأمر كذلك مع العديد من الناس. يَقبلون الإعتراف بالمسيح ابن الله، ولكنهم مع ذلك، يشعرون بالخوف من الله القدوس، ومن يوم الدينونة الأخير، ومن عقوبة الخطية. وبالتالي، يقاومون الادِّعاء ويقررون أنهم غير مقتنعين. وهذا ما حدث بالفعل، فما قدمه المسيح من سلسلة المعجزات التي كانت تعرض بكل بساطة قوته الخارقة للطبيعة، والتي كان من شأنها أن تزيد من خوف الناس وتُعزز من مقاومتهم، وتدفعهم إلى البحث عن تفسيرات بديلة لقوة المسيح الخارقة. وبالتالي، فإن إعتماد الله في الإعلان عن نفسه، لم يعتمد اساساً على معجزات المسيح لكسب قلب الإنسان، ولكن على صليبه. المسيح نفسه هدأ من عداوة خصومه الذين شعروا بالغضب من كشفه لخطاياهم بقوله:

«مَتَى رَفَعْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ (وهذا هو، المصلوب)، فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ (إلهكم الخالق والرب)، وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي. وَالَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي، وَلَمْ يَتْرُكْنِي الآبُ وَحْدِي، لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ» (يوحنا٨:٢٨).

لكن الله- من خلال صليب ابنه- فضح خطايانا. ولم يفضحها فقط، ولكنه عرضها على مرأى من كل الكون. ومثل هذا التمرد والنفور الذي في قلب الإنسان، والذي ظهر وقت التجسد، هو ما أعطى الفرصة للبشرية لأن يصلبوه، والمصلوب في الواقع، هو صانعها. ومن خلال صليب ابنه، نستطيع أن نرى بوضوح قداسة الله الصارمة. فإن الخطية هي التي تجلب استياء الله، ويجب معاقبتها.

**الله، في صليب إبنه فضح خطايانا وعرضها على مرآى من كل الكون**

ولكن في نفس الوقت، وفوق أى شيء آخر، نلاحظ أنه من خلال موت ابنه، كشف الله عن كل ما في قلبه نحو خليقته. على الرغم من أنهم قد خُدِعوا من إبليس، والخطية قد جعلتهم أعداء لله، ولكن لا يزال الله مُخلِصاً لهم. فقد أحبهم محبةً لا مثيل لها، ووَحدَهُ المبدع الخالق هو من يمكن أن يقدم مثيلها لمخلوقاته. فقد أعلن الخالق أنه: «هُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ. «(٢بطرس٣:٩).

وبدلاً من أن يدانوا تحت عقاب الخطية، قال أنه قد دفع العقوبة على حساب معاناة الابن الأزلي نفسه، وبهذه المبادلة نكون أحراراً أمام عدالة السماء، وتصير أحقية تقديم الخلاص الكامل والأبدي متاحة لجميع من يقبلونها.

الصليب يعلن عن إشتياق الله لجميع الناس لأن يخلصوا ويُقبِلوا إلى معرفة الحقيقة، وأن يكتشفوا حقيقة قلب الله وما في أعماقه نحوهم. ولكي يُظهِر الله للعالم عن ما في قلبه، قدم الابن الحبيب نفسه فدية لأجل الجميع، ليجعل من أشواق محبة الله أموراً ممكنة التحقيق في حياة الناس (١تيموثاوس٢:٣-٦). محبته الكاملة تتوق لطرح كل خوفنا (١يوحنا ١٨:٤).

إنّ صليب المسيح هو بالتالي أقصى تعبير عن محبة الله الأزلية الأبدية. إن مسرة السماء لن تعبر مرة أخرى عن محبة الله بشكل أكثر كمالاً من تقديم الابن الوحيد على صليب الجلجثة. فهذه رسالة الله الأخيرة، وليس لديه شيء أكثر فاعلية أو أكثر جلالاً يفعله لنا للفوز بالإيمان والمحبة.

والسؤال هو ما إذا كان يمكننا التعرف على محبة الله عندما نرى ذلك؟ «الخراف» هي مخلوقات متواضعة على ما يُعتقد، ويمكنها التعرف غريزياً على الحب والرعاية من الراعي الحقيقي. يقول المسيح: « أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ» (يوحنا١٠:١١). ويقول الرسول يوحنا: «بِهذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا» (١يوحنا٣:١٦)، ويقول المسيح مرة أخرى: «أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ»، «أَعْرِفُ خَاصَّتِي وَخَاصَّتِي تَعْرِفُنِي... وَأَنَا أَضَعُ نَفْسِي عَنِ الْخِرَافِ... لِهذَا يُحِبُّنِي الآبُ، لأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي لآخُذَهَا أَيْضًا» (يوحنا١٠:١٤-١٧).

**إنّ صليب المسيح هو أقصى تعبير عن محبة الله الأزلية الأبدية**

إذاً السؤال هو: «هل يسوع المصلوب هذا هو ابن الله؟» والسؤال هو فريد من نوعه. لأننا لم نسمع عن زعيم ديني أو مؤسس ديانة عالمية بأن وقف، في أي وقت مضى، وأعلن عن نفسه مباشرة بالقول: «أنا خالقك. ولأني خالقك، أنا أحبك كما أنت، بالرغم من خطاياك. والدليل هو هذا: أني أنا شخصياً سأموت عنك».

إذاً، تصريح المسيح، هو أمر هائل. ولكن لا يزال هناك المزيد من الأدلة لإظهار أن المسيح هو الله حقاً. تُرى ما هو الدليل الآخر؟ هذا ما سندرسه في الفصل التالي.

# ١١

# الإيمان

## تجاوبٌ مع الأدلة (الجزء ٢)

### الدليل المقدم من قيامة المسيح

من المعروف أن قيامةَ يسوع المسيح هي قضيةٍ محوريةٍ في المسيحية. وواضح أيضاً من العهد الجديد أن قيامة المسيح وصعوده إلى السماء لم يكونا تعليماً لاهوتياً صعباً، حتى يناضل المسيحيون الأوائل في الإيمان بهما وتصديقهما. بل كانا إثنين من الأحداث العظيمة التي أطلقت قوة هائلة، أثرت وغيرت في تلاميذ المسيح منذ وقت مبكر، من أناس خائفين إلى مبشرين مجاهرين بالإنجيل لم يقدر أحد على إسكاتهم. وبعد أن كان من آمنوا بالمسيح هم قلةً قليلة، أدت قيامة المسيح إلى زيادة المؤمنين إلى الآلاف. وقادتهم قيامة المسيح إلى اختبار حضور الله الحي بشكل هائل لم يعرفوه من قبل إذ قد زاد أملهم ورجاؤهم إزدياداً مضطرداً. إستمع كيف كانوا يتكلمون:

«أَنْتُمُ الَّذِينَ بِهِ (بالمسيح) تُؤْمِنُونَ بِالله الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَأَعْطَاهُ مَجْدًا، حَتَّى إِنَّ إِيمَانَكُمْ وَرَجَاءَكُمْ هُمَا فِي اللهِ». (١بطرس١:٢١).

بدون الله سيكون الموت هو نهاية كل شيء، وسيحل غضب الله على كلِّ جسد، وستقضي العبثية النهائية والإحباط على كل كفاح من أجل التقدم. لكن قيامة المسيح غيَّرت كل ذلك، إذ يقول الرسول بطرس:

**بدون الله سيكون الموت نهاية كل شيء وسيحلّ غضب الله على كلِّ جسد**

«اللهُ... الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِمِيرَاثٍ لاَ يَفْنَى وَلاَ يَتَدَنَّسُ وَلاَ يَضْمَحِلُّ، مَحْفُوظٌ فِي السَّمَاوَاتِ لأَجْلِكُمْ» (١بطرس١:٣-٤).

لقد رأى المسيحيون الأوائل أن قيامة الإنسان يسوع المسيح قد مهدت الدخول إلى المجد الأبدي لكل الجنس البشري المفدى، لذلك كانت قيامة المسيح هي النموذج

الأولي والوعد بالقيامة لكل الذين آمنوا (١كورنثوس١٥:٢٠-٢٣).

علاوة على ذلك، فإن قيامة المسيح أنتجت ظاهرةً ملحوظة: وهي أن المسيحيين الأوائل، حتى الذين لم يروا المسيح منهم، أحبوه. إستمع كيف كانوا يتكلمون:

«(يسوع المسيح)الَّذِي وَإِنْ لَمْ تَرَوْهُ تُحِبُّونَهُ. ذلِكَ وَإِنْ كُنْتُمْ لاَ تَرَوْنَهُ الآنَ لكِنْ تُؤْمِنُونَ بِهِ، فَتَبْتَهِجُونَ بِفَرَحٍ لاَ يُنْطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ»(١بطرس١:٨).

لو قال شخص ما: «أنا أحب تشايكوفسكي»، فحتما سيكون قصده: «أنا أحب موسيقاه» ولا يقصد: «أنا أحب تشايكوفسكي شخصياً». إذ لا يمكن لأحد أن يقول هذا القول الأخير، لأنه لا معنى له. فقد مات تشايكوفسكي، وأنت لا يمكن أن تحب شخصاً ميتاً. تماماً مثل الأرملة التي عادةً ما تقول: «أنا أحببت زوجي» وليس معقولاً أن تقول: «أنا أحب زوجي».

وهنا لاحظ الطريقة التي يتحدث بها المسيحيون عن مسيحهم. فهو بالنسبة لهم ليس مجرد رمز تاريخي، أو معلماً أخلاقياً من الزمن الماضي الجميل، لكنه شخصً حيٍّ. وعلى الرغم من أنهم لم يروه أبداً، لكنهم يحبونه، ويتحدثون إليه (في الصلاة)، ويستمعون إلى صوته وهو يتحدث لهم شخصياً (من خلال الكتاب المقدس)، ويتغنون ويتعبدون له، ويعيشون حياتهم بقوته لعمل مسرته. وهذا هو نوع الإيمان الذي أنتجه واقع القيامة.

قد يقول شخص ما: «لكنها ليست بالضرورة حقيقة واقعة، كل هذا يحدث مع الأشخاص الذين يفترضون أن قيامة المسيح هي حقيقة تاريخية. فقد إقتنعوا أنفسهم أن يسوع هو على قيد الحياة، وشكلوا صورة ذهنية مثالية له، ووقعوا في حب هذه الصورة. ومن المؤكد أن هذا الحدث هو خيال شخصي محض. لأنه ما الهدف، وما الأدلة التاريخية التي تثبت أن يسوع قام حقاَ من الأموات؟».

**إنّ المسيح بالنسبة إى المسيحيين هو شخص حيّ وعلى الرّغم من أنهم لم يروه أبداً لكنّهم يحبونه**

والجواب هو: الأدلة والبراهين كثيرةً وقويةً جداً، وتراكميةً لأنواع مختلفة ولعدد كبير من المصادر المختلفة. وما يمكننا عمله هو أن نقدم عينات فقط، نورد منها الآتي:

١. الدليل من القبر الفارغ: من الواضح تماماً من العهد الجديد أن أول من زاروا قبر

المسيح، في يوم الأحد بعد دفنه، توقعوا أن يجدوا جسده مازال في القبر. لذا فقد أتوا ومعهم الحنوط لتكفين جسده، كانوا ينوون بهذه العملية الحفاظ على الجسد الميت طالما أستطاعوا. وعندما أبلغوا الرسل أنهم عثروا على القبر فارغاً، أصابتهم الدهشة، وعلى الفور ركض يوحنا وبطرس إلى القبر في محاولة لإكتشاف ما الذي حدث في الواقع (يوحنا٢٠:١-١٠). وقد أخبرانا بما وجدا كيف أن القبر لم يكن فارغاً تماماً. فقد أختفى الجسد، ولكن الأكفان الملفوفة حول جميع أنحاء الجسم. حسب طريقة الدفن اليهودية، وُجِدت في مكانها كما لو كان الجسد موضوعاً داخلها، لكن بدون الجسد، والمنديل الذي كان ملفوفاً حول رأسه، وجداه في موضعه وحده يبعد قليلاً عن باقي الكفن على الحافة المصممة كوسادة لرأس الميت.

أخبرَنا هذان التلميذان بأن هذا هو الدليل الأول الذي جعلهما يؤمنان أن يسوع لابد وأن قام من بين الأموات، جسد المسيح قام من الكفن تاركاً إياه كما هو بترتيبه. أي تفسير آخر يمكن أن يكون لما حدث؟ كانا يعرفان أن أياً من باقى الرسل لم يُخرِج أحد منهم جسدَ المسيح؛ ولا يستطيع أي شخص آخر أن يفعل ذلك، منذ أن نشرت السلطات الجنود حول القبر لحراسته على وجه التحديد لهذا الغرض، ألا وهو منع أي شخص من سرقة الجسد وتزوير القيامة.

إنهم الجنود الذين، إذ لم يجدوا الجسد في القبر، بَثُّوا الشائعات بأن التلاميذ قد أتوا ليلاً وسرقوا الجسد أثناء نومهم (متى٢٧:٦٢-٦٦؛ ٢٨:١١-١٥). ولكن هذه الشائعات لم يعتد بها أحد لأنها غير صحيحة حتى في ظاهرها، إذ كيف يمكن لهم أن يشاهدوا ما حدث إذا كانوا نائمين؟ ولكن على مستوى أعمق، فمن الصعب أن نصدق أن بعض التلاميذ حاولوا تَخَطِّي الحراس، ودحرجة الحجر الثقيل الذي عند مدخل القبر، وسرقوا الجسد، ثم أعادوا ترتيب الكفن بعد أن أزالوه من على الجسد ولفوه في كفن آخر ثم أختبأوا بعيداً، وبعد كل ذلك لفَّقوا عمداً كذبة قيامة يسوع من بين الأموات. وهنا من الصعب أن نصدق هذا لسببين:

٢. سلوك الرسل تحت ضغط: كان تشارلز كولسون واحداً من أواخر مساعدي الرئيس نيكسون، وهو الذي لفَّق قصةً مزورةً للتستر على العمل الإجرامي للرئيس نيكسون في إغارته على مقر أحد المعارضين السياسيين له، وهي القضية

المعروفة بإسم «قضية ووترجيت». للوهلة الأولى كان من الصعب إكتشاف أن لهؤلاء الرجال قصتهم الكاذبة وقد أستمرت هذه الكذبة لفترة من الوقت. ولكن عندما تعرضوا لضغوط التعذيب، وتهديدهم بالعقاب الشديد، أبتدأ واحدٌ تلو الآخر في خيانة باقي زملائه حتى اعترفوا أخيراً بالحقيقة، إذ وجدوا أنه لا يمكنهم أن يتعذبوا من أجل كذبة، هم أنفسهم اختلقوها.

من تجربته الخاصة، إستنتج كولسون شيئاً عن الرسل الذين لم يكونوا سياسيين ولا هم دبلوماسيين محنكين. فإنه إذا كانت قصة القيامة هي أكذوبة خاصة بهم ومن اختراعهم، فإنه عند تعرضهم لضغوطٍ هائلةٍ عليهم من التعذيب، وهذا ما حدث فعلاً لهم سريعاً، فحتماً لن يستمروا في تماسكهم وشجاعتهم، وسينهار واحد منهم أو أكثر ويعترف بأن كل شيء كان زائفاً. ولكن أياً منهم لم يفعل ذلك، ولا حتى عندما رأوا أن الكثير من الناس قد تعرضوا للإضطهاد بسبب إيمانهم البريء بروايتهم عن القيامة، ولا حتى عندما واجهوا هم أنفسهم الإستشهاد في سبيل لذلك.

دعونا نفترض أن الرسل حافظوا على تمسكهم بسرية اكذوبتهم عن قيامة المسيح حتى عند تعرضهم لضغوط الإضطهاد، فكيف يمكن لقصتهم أن تقنع رجلاً مثل شاول الطرسوسي؟شهادة شاول الطرسوسي: كثيراً ما يقال بأن الدليل على قيامة المسيح ضعيف بشدة بسبب حقيقة أن كل الأدلة تأتي من مسيحيين. ألا يوجد شخص غير مسيحي، يشهد أن يسوع قام من بين الأموات. حسناً، بالطبع الإجابة «لا»، لأن كل من كانوا غير مسيحيين وأصبحوا مقتنعين بقيامة المسيح أصبحوا بشكل طبيعي مسيحيين. ولكن النقطة الواجب فهمها هي أنهم لم يكونوا مسيحيين قبل أن يصيروا مقتنعين بقيامة المسيح، وأن قيامته هي التي أقنعتهم.

وهناك حالة شهيرة في هذه النقطة وهو شاول الطرسوسي. قبل تحوله، كان ليس فقط رافضاً للإيمان بيسوع وقيامته، لكنه كان يضطهد بقساوة كل من يؤمن بهذا الإيمان. الآن في نهاية المطاف نلاحظ أن التغيير الهائل لشاول الطرسوسي لهو حدث تاريخي لا يرقى إليه الشك. لا يزال العالم يحمل نتائجه حتى اليوم. تُرى ما سبب تغييره؟ أنه المسيح الحي المقام، هو من نادى شاول شاول، وقد كان شاول يعتقد أنه مات ودفن، ولكن الآن يواجهه على طريق دمشق (أعمال ٩).

قد يجادل أحدهم بأن شاول كان حالةً خاصةً جداً. لكن الحقيقة هي أنه لم يكن شاول الوحيد الذي أقتنع بالقيامة بإختباره الشخصي ولقائه بالمسيح المقام من الأموات.

٣. سلوك المرأة المسيحية الأولى: أول من جاؤا لزيارة قبر المسيح في اليوم الثالث كن بعض النساء المسيحيات اللاتي أتين بالطيب لتكفين الجسد. وإذا لم يَقُم المسيح من الموت، فإنه بلا شك كان قد تحول القبر إلى مزار أو مكان للحج، كما حدث لكثير من الزعماء الدينيين الآخرين، وهو ما حدث لأجيال لاحقة من الراقدين في العالم المسيحي. ولكن هؤلاء النسوة لم يفعلن ذلك. لكنهن، ومع جميع المسيحيين الأوائل، تخلين عملياً عن زيارة القبر. لماذا؟ لأنهن وجدن أنه فارغ، وبعد ذلك التَقَينَ بالرب يسوع نفسه، المقام من بين الأموات. والواقع يقول أنه لا أحد يجعل مزاراً لقبر شخص على قيد الحياة! (متى ٢٨:١-١٠؛ يوحنا٢٠:١١-١٨).

**إنّ المسيح الحي المُقام هو من نادى شاول، شاول وقد كان شاول يعتقد أنّهُ مات ودُفن، لكن الآن يواجههُ على طريق دمشق**

٤. شهادة شهود العيان: رسالة بولس

الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس هي واحدة من رسائل بولس الأولى. في الفصل ١٥ (الآيات ٣-٨)، يلخص بولس الإنجيل والبشارة.لأن الآيات لا تشمل فقط الإعلان أن المسيح قام من بين الأموات في اليوم الثالث، ولكنها تشمل قائمة من شهود العيان الذين رأوا المسيح فعلاً بعد قيامته. وليس المقصود من هذه القائمة أن تكون شاملة، ولكنها تبين أن الشهود هم من مختلف الشخصيات على نطاق واسع. والظروف التي رأوا فيها المسيح المقام متفاوتة أيضاً: مرات ظهر للبعض على انفراد، ومرات ظهر للبعض في مجموعات صغيرة، والبعض الآخر في مجموعة من أكثر من ٥٠٠ شخص. ونحن نعلم من مواضع أخرى أن المسيح ظهر لبعض الناس في المساء والأبواب مغلقة (يوحنا ٢٠:١٩-٢٣)، ولآخرين في وضح النهار على جانب الجبل (متى٢٨:١٦-٢٠)، وإلى آخرين في الصباح على

ضفاف بحيرة وهم في قوارب الصيد (يوحنا ٢١)، وأيضاً لآخرين وهم في رحلة سفرهم (لوقا٢٤).

سيكون من الصعب الجدال بأن كل هذه الشخصيات المتنوعة وقعوا ضحيةً لهلوسة أو لتنويم مغناطيسي جماعي.

الآن هناك ما هو أكثر بكثير من الأدلة التاريخية التي يمكن أقتباسها. ولكن يتعين علينا النظر في اعتراض آخر: «وفقاً للعهد الجديد، إذا كان التلاميذ قد رأوا شخص المسيح المقام ولمسوه، حتى قبل أن يكونوا مستعدين للإيمان بقيامته. فكيف إذاً تتوقع مني أن أؤمن، قبل أن يمكنني أنا أيضاً أن أراه وألمسه؟».

الإعتراض مفهوم، ولكن ليس من المعقول لدرجة أن نجعل ذلك شرطاً. دعونا نستخدم مثالاً للقياس والتوضيح. لنفترض أنني أتيت من بلد بدائي جداً، ولم أكن قد رأيت أبداً الإضاءة الكهربائية من قبل. فعندما أزور شقتك، وتقول لي: «أضغط على مفتاح النور الذي على حائط غرفتك وسوف تضيء الغرفة»، وعندما أسأل: «كيف يكون ذلك ممكناً؟»، سترد قائلاً: «الضوء تنتجه الكهرباء التي بدورها تأتي من مبنى يسمى محطة توليد الكهرباء التي قد تبعد مسافة أميالٍ». ثم أسأل: «هل رأيت هذه الكهرباء؟» فتجاوبني: «لا»، ثم أسأل: «وهل رأيت محطة توليد الكهرباء؟»، فتجاوبني: «لا أنا لم أذهب إالى هناك». ثم أستفسر: «ولماذا إذاً تؤمن في وجود هذه المحطة؟ ونظرية الكهرباء هذه». وعندها تشرح لي بصبر: «عندما أنتقلنا أولاً إلى هذه الشقة، زارنا رجل قال انه جاء من محطة توليد الكهرباء. وأوضح لنا أن شقتنا مقطوع عنها التيار الكهربائي في ذلك الوقت، ولكنه كان ينوي توصيل الكهرباء وربط الشقة بمحطة الكهرباء. حتى إذا ما ضغطنا مفتاح الإنارة، أضاءت لمبات الغرفة. لذلك إذهب الآن إلى غرفتك، وإضغط على مفتاح الإنارة، وسوف يأتي الضوء في غرفتك أيضاً».

وإذا أجبته: «لا، أنا لست مستعداً للقيام بذلك. أنا قد أنخدع في نفسي وأتخيل أنني قد رأيت الضوء. أنا مُصِر على رؤية الرجل الذي أتى من محطة توليد الكهرباء بنفسي، مثلما فعلت أنت قبل أن أضغط على مفتاح الإنارة». عندها ربما تعتقد أنني مخبول.

والآن أخبرنا الرسل بأن يسوع قد أبلغهم، سواء قبل موته، أو حتى بعد قيامته من

بين الأموات، بأنه كان على وشك تركهم عمداً. كان عليه العودة إلى الآب حيث أتى قبلاً، وأنه سيرسل لهم الروح القدس (يوحنا٧:١٦-١٤، ٢٨). فكان عليهم الإنتظار في أورشليم لبضعة أيام حتى يحصلوا على الروح القدس. ثم تركهم وصعد إلى السماء (أعمال١:٤-٩). تمسكوا بما قاله لهم، وإنتظروا كما قال لهم، ومن ثم حصلوا على الروح القدس، وحصلوا معه على نور، وسلام، وقوة ليعيشوا الحياة اليومية في شركة مع الله.

وعندها أخبروا كل معاصريهم أنهم إذا تابوا من خطاياهم وآمنوا بشخص المسيح، فإنهم سيحصلون على الروح القدس مثلهم (أعمال٢:٣٨). لاحظ أنهم لم يروا ولن يستطيعوا أن يروا الروح القدس متى آمنوا، لكنهم سيختبرون نوره وقوته في حياتهم. يخبرنا الرسل بالشيء نفسه بالنسبة لنا اليوم. هم أنفسهم كانوا قد رأوا المسيح المقام، لذا كانوا قادرين على الشهادة والتأكيد للعالم على أن من رأوه بعد قيامته، هو نفسه يسوع الذي عاشوا معه لمدة ثلاث سنوات (أعمال١:٢١-٢٢).

**إنّ المؤمنين لم يروا الروح القدس لكنهم يختبرون نوره وقوته في حياتهم**

ولكن نحن لسنا بحاجة لرؤية «رجل محطة توليد الكهرباء»، لأنه يمكننا أن نكتشف أنه حقاً حي بدون أن نراه. إضغط على مفتاح التوبة والإيمان، وحتماً سيأتي نور وقوة روحه على قلبك.

لدينا ضمانة أخرى ضد خطر «المذهب الذاتي» (mere Subjectivisim). إن قيامة يسوع لم تكن مجرد قيامة لأي رجل. العهد القديم في الكتاب المقدس مليء بالنبوَّات التي تتكلم عن ما الذي نتوقعه من المخلص عندما يأتي. تخبرنا أنه سيموت أولاً كمُعَيّن من الله كذبيحة خطية من أجل خطايا العالم. وأن الله سيؤكد قبوله لهذه الذبيحة عن طريق إقامته له من بين الأموات (إشعياء٥٣:٤-٦؛ ١٠-١٢). ولهذا كان يسوع هو ذلك المُخَلِّص. لهذا السبب فإن الإنجيل المسيحي ليس مجرد أن المسيح مات وقام ثانية. بل هو أن «أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ» (١كورنثوس١٥:٣-٤). إقرأ هذه الشواهد الكتابية، ثم إثبت بالأعمال المناسبة أن هذا الإنجيل هو حق.

# ١٢

# الإيمان

## السؤال هو، بمن تثق؟

تكلمنا في الفصول السابقة عن مفهوم الإيمان وقدمنا الأسس التي عليها نحن مدعوون إلى الإيمان أن يسوع هو المسيح، ابن الله. والكتاب المقدس يعلن بصراحة أن الإيمان بهذه الحقيقة قد يسبب للناس اضطهاداتٍ كثيرة. إذاً هناك إحتياج إلى الوضوح التام في قضية بمن تؤمن. إذا كان يسوع هو حقاً ابن الله، ابن مالك الكون، الخالق والمالك لكل شيء، إذاً أي خسارة أو معاناة سنتكبدها لأجله هي لا شيء بالمقارنة مع ما لنا فيه. ومن جهة أخرى، إذا لم يكن يسوع هو ابن الله، سيكون من الغباء أن نتكبد أي معاناة أو خسائر لأجله.

مرة أخرى، قد يقول بعض الناس على سبيل المثال: «نحن نؤمن بالمسيح وبجميع الديانات الأخرى كذلك»، لكن نقول لمثل هؤلاء، الذين يظنون أنهم متسعوا الأفق، أن أفكارهم غير منطقية وخطيرة. فإن الإيمان بالمسيح، وفقاً للعهد الجديد، يعني أن نؤمن بأنه: « يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ» (١تيموثاوس٢:٥-٦). وهو يعني الإيمان بأن «لَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُص» (أعمال٤:١٢). وهذا يعني الإيمان بأن تقديم المسيح لنفسه كذبيحة خطية عنا، لهو أمر كافٍ. ولا شيء آخر يمكن أن ينجي، وليس هناك حاجة أخرى لتقديم ذبائح للخلاص (عبرانيين١٠:١١-١٢). ولكن أن تَدَّعي بإيمانك بالمسيح كمخلص ومنقذ، وبآخرين أيضاً كمخلِّصين كذلك، فهذا ليس من الإيمان (ولا حتى ذكاءً) ولكنه الشك بعينه.

والإيمان المسيحي الحقيقي لا يعني فقط الإيمان ببعض الحقائق: بل يعني أيضاً الإيمان، الثقة، والإلتزام التام لشخص الرب يسوع المسيح. للأسف هناك الكثير من الناس الذين يعتقدون أن يسوع هو ابن الله ومخلص العالم، ولكن مع ذلك لم يكرسوا

أنفسهم كلياً له ليكون مخلصهم الشخصي. والغريب أن تجد أن هذا الإيمان هو الذي يعرضه وينادي به بعض رجال الدين.

يشعر البعض أنه لا حاجة لتكريس أنفسهم للمسيح. وهم يتكلون على نقاوة سجلاتهم الخاصة بهم من محاولات صادقة للحفاظ على وصايا الله والذهاب المنتظم للكنيسة والتزامهم بكل الطقوس الدينية، أملاً في أن تشفع لهم. ويبدو أنهم غافلين عن تأكيد الله الشديد اللهجة بأن جميع الذين يتكلون على أعمال الناموس هم تحت لعنة (غلاطية٣:١٠-١٢).

بعض الناس يخافون من تكريس أنفسهم للرب يسوع المسيح لخلاصهم. هم يشعرون بأن المسيح قام بدوره في خلاصنا، ولكن عليهم القيام بالكثير لخلاص أنفسهم. وهكذا وجدوا أن العمل الشاق جداً ضروري للخلاص، ومع ذلك فلا يمكنهم أبداً التأكد من كفاية أعمالهم في خلاصهم في نهاية المطاف. إنهم بحاجة للإستماع مرة أخرى إلى كلمات العهد الجديد المحررة:

«إِذًا نَحْسِبُ أَنَّ الإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ... وَأَمَّا الَّذِي لاَ يَعْمَلُ، وَلكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ، فَإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بِرًّا» (رومية٣:٢٨؛ ٥:٤).

مثال، عندما يسبح المنقذ لإنقاذ رجل من خطر الغرق، فإنه لا يحاول إنقاذه لحظة وصوله إليه. والسبب هو أن الغارق يكون في حالة ذعرٍ وهو يحاول إنقاذ نفسه، مما قد يجعله يتمسك بشدة في المنقذ، وهذا ما يجعل مهمة الإنقاذ مستحيلة. لذا تجد المنقذ يسبح حول الغريق على مسافة قليلة، حتى يستنفذ الغريق كل محاولاته ويتخلى عن محاولاته لإنقاذ نفسه. وعند هذه النقطة يقترب منه المنقذ. وفي كثير من الأحيان يتصرف المسيح معنا من هذا القبيل. هو ينتظر حتى يكتشف الناس أنه لا يوجد شيء يمكنهم القيام به لخلاص أنفسهم، وعند ذلك يقدم المسيح نفسه لهم بإعتباره المخلص الذي فعل كل ما يلزم لخلاصهم.

بعض الأشخاص لديهم مشكلة أخرى. هم يدركون أن الخلاص هو بالإيمان، وهم يحاولون جاهدين لأن يؤمنوا. لكن على الرغم من كل الجهود التي يبذلونها للإيمان، لكنهم يشعرون بأن إيمانهم ليس قوياً بما فيه الكفاية، ولهذا ليس لديهم أى ضمان

بالخلاص. خطأهم هو أنهم، بوعي أو بدون وعي، يعتبرون الإيمان كإستحقاق واجب عمله، وهو سيؤهل للخلاص فقط إذا كان قوياً بما فيه الكفاية. ولكن الخلاص هو عطية مجانية حقيقية. الإيمان ليس أمراً نستحقه. بل هو يد الشحات المفلس الممدودة بإرتعاش، لكي تأخذ ببساطة العطية غير المكتسبة والهدية غير المستحقة (أفسس٢:٨-٩).

يسقط الطفل الصغير نائماً بسعادة بين ذراعي أمه، واثقاً بأن أمه ستحفظه آمناً. إيمان الطفل في أمه لم يَستحقَّه بعمله لكسب رعاية أمه، وليس على الطفل أن يعمل بجهد من أجل التمتع بالأمان الذي تقدمه له أمه مجاناً.

**إنّ الإيمان ليس مجرّد الثقة بالنفس**

من ناحية أخرى، الإيمان ليس مجرد الثقة بالنفس. وهنا، على سبيل المثال، سيقول بعض الناس: «أنا واثق من أنني إذا فعلت أفضل ما أستطيع، فإن الله في النهاية سيرحمني ويمنحني الخلاص»، ولكن مثل هذه الثقة ليست هي ما يعنيه العهد الجديد بالإيمان، لأنها تستند ليس على الله ولا على ما يقوله الله، ولكن على آراء المتحدث الشخصية. وهذه الثقة هي في غير محلها وخطيرة.

لنفترض أن أماً تشتري دواءً لطفلها. ومكتوب على الدواء أنه للاستعمال الخارجى فقط وأنه سام. ولكن الأم لم تهتم بقراءة الإرشادات وجعلت طفلها يشرب ملعقة كبيرة من هذا الدواء. وقد تشعر بثقة أن الدواء سيعمل عمله جيداً في طفلها. ولكن ماذا سيحدث فعلياً بعد ذلك؟ بالطبع لا لن يتحسن. بل قد يموت الطفل. إذاً تصبح الثقة صالحةً فقط عندما تستند على الله، وعلى كلمته وإرشاداته.

وإليك تمييز آخر مهم: الإيمان ليس مجرد مشاعر. كثير من الناس (ولكن ليس الجميع)، عندما يبدأون في وضع ثقتهم بالمسيح وينالون غفراناً كاملاً للخطايا وتأكيداً بالخلاص، فإنهم يختبرون راحةً عاطفيةً كبيرةً، وتغمرهم مشاعر الإبتهاج، وهذا جيد، ولكن ستهدأ هذه المشاعر بعد حين بشكل طبيعي. وعند هذه النقطة نلاحظ أنه إذا كان إيمانهم يعتمد على مشاعرهم بدلاً من المسيح، فإنهم قد يعتقدون بأنهم ربما فقدوا خلاصهم، أو ربما يظنون أنهم لم يحصلوا عليه أصلاً. إذاً يجب علينا أن لا نخلط بين الإيمان والمشاعر.

في الواقع، الإيمان بالله يمكن أن يسبب لنا في بعض الأحيان مشاعر الحزن والألم، على سبيل المثال عندما تديننا كلمة الله على سلوكياتنا الخاطئة والضرر الذي تسببنا به، أو عندما نجد أن الله يطلب منا التخلي عن ممارسات غير أخلاقية أعتدنا عليها لكسب المال، أو عندما يتوجب علينا أن نعاني سوء المعاملة أو الإضطهاد بسبب إيماننا. لذا يجب علينا أن نجعل من كلمة الله، وليس مشاعرنا، دليلنا النهائي.

لنفترض أن إمرأة تعيش في شقةٍ في الطابق الخامس في بنايةٍ سكنيةٍ. وأن النار أمسكت في شقتها. وفي الحال وصل رجل الإطفاء خارج نافذتها على رأس سلم طويل. ثم دخل لخطوات داخل غرفتها وطلب منها أن تسمح له بحملها لأسفل السلم. ثم وافقت وأسلمت نفسها له. ولكن عندما نظرت إلى أسفل، ورأت أن الأرض بعيدة، أمتلأت بمشاعر الخوف. ولكن مشاعرها لم تصنع إختلافاً من نحو أمانها. فقد أمسكها رجل الإطفاء بقبضةٍ من حديدٍ، وأحضرها إلى أسفل بأمانٍ تامٍ. وهذا ما يحدث عندما نضع ثقتنا في المسيح يسوع كالمخلص، إن قوته وأمانته هي التي تضمن خلاصنا. ومشاعرنا لا تؤثر على أماننا.

## الإيمان يتضمن تنفيذ حُكم أخلاقي

قد يقول أحدهم: «إذا أنا وثقت بالمسيح أن يعطيني الضمان في الحياة الأبدية، كيف أعرف بأنني حصلت عليه؟»، إليك جواب العهد الجديد على السؤال:

> «إِنْ كُنَّا نَقْبَلُ شَهَادَةَ النَّاسِ، فَشَهَادَةُ اللهِ أَعْظَمُ، لأَنَّ هذِهِ هِيَ شَهَادَةُ اللهِ الَّتِي قَدْ شَهِدَ بِهَا عَنِ ابْنِهِ. مَنْ يُؤْمِنُ بِابْنِ اللهِ فَعِنْدَهُ الشَّهَادَةُ فِي نَفْسِهِ. مَنْ لاَ يُصَدِّقُ اللهَ، فَقَدْ جَعَلَهُ كَاذِبًا، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِالشَّهَادَةِ الَّتِي قَدْ شَهِدَ بِهَا اللهُ عَنِ ابْنِهِ. وَهذِهِ هِيَ الشَّهَادَةُ: أَنَّ اللهَ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ فِي ابْنِهِ. مَنْ لَهُ الابْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنُ اللهِ فَلَيْسَتْ لَهُ الْحَيَاةُ. كَتَبْتُ هذَا إِلَيْكُمْ، أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ، لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لَكُمْ حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلِكَيْ تُؤْمِنُوا بِاسْمِ ابْنِ اللهِ». (١يوحنا٥:٩-١٣).

هذا المقطع من كلمة الله يخبرنا بأن المؤمن في المسيح يمكن أن يكون متأكداً تماماً بأن له حياة أبدية، لسببين:

١. لأن الله يقول ذلك! وعدم تصديق الله عندما يقول لنا شيئاً فهذا يعني أننا نجعله كاذباً. كلمة الله سهلة وبسيطة، وواضحة ومباشرة:

«وَهذِهِ هِيَ الشَّهَادَةُ: أَنَّ اَللهَ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ فِي ابْنِهِ. مَنْ لَهُ الابْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ» (١يوحنا٥:١١).

وهذا الأمر يجب أن يكون راسخاً ومنتهياً لكل مؤمن.

لنفترض أنني للمرة الأولى التقيت بك وسألتك ما هو اسمك، وكانت إجابتك «جون»، وافترض أنه في تلك اللحظة جاء شخص آخر وسألني عن إسمك وأجبته: «أنا لا أعرف. لكنه يقول أنه جون. ولكني لست متأكداً». فكيف سيكون شعورك؟ حتماً ستكون ساخطاً للغاية، لأنه برفضي أن أصدق ما قلته لي، فهذا يعني أنني أجعلك كاذباً. وأنني أعيب في أخلاقك وشخصيتك، وهذا شيء خطير، ولكن ليس بقدر خطورة رفض أن نصدق ما يقوله الله، إذ أننا بذلك نهين شخص الله. لذلك ينطوي الإيمان بالله، على القيام بالحكم على شخصية الله الأخلاقية: هل هو جدير بالثقة أم لا؟ هل يقول الحقيقة أم لا؟

**بدأت متاعب الإنسان كلها عندما كان في جنة عدن وخدعه الشيطان بدهاءٍ وشكَّكه في كلمة الله**

بدأت متاعب الإنسان كلها عندما كان في جنة عدن، وخدعه الشيطان بدهاءِ وشككه في كلمة الله، وعندها بدأ الإغتراب عن الله (سفر التكوين٣:١-٧). وتتم إزاحة هذا الإغتراب عن الله بالتوبة والإيمان وذلك عندما يضع الإنسان ثقته المطلقة في كلمة وشخص الله الذي لا يمكن أن يكذب.

٢. لأن «مَنْ يُؤْمِنُ بِابْنِ اِللهِ فَعِنْدَهُ الشَّهَادَةُ فِي نَفْسِهِ». (١يوحنا٥:١٠). إفترض أنك كنت مريضاً، وعرض عليك الطبيب بعض الأدوية، وقال لك: «خذ هذا الدواء، وسوف تُشفي». أولاً عليك أن تقرر ما إذا كنت ستصدقه أم لا. هل هو مؤهل جيداً؟ هل يمكن أن تتيقن من أن ما قدمه لك كان دواءً جيداً وليس سُمَّاً؟ دعنا نفترض أنك قررت أنه طبيب مؤهل بشكل جيد ورجل شخصيته جديرة بالثقة. ثم أخذت الدواء، وعندما بدأ يسري تأثير الدواء وتم الشفاء، سيكون لديك الدليل داخلك من أن الطبيب كان محقاً وأن الدواء كان جيداً.

بنفس الطريقة عندما يقدم الله لنا الحياة الأبدية كهديةٍ، إذا صدقناه، سندرك أننا

نملك هذه الهدية، أولاً لأن الله قال لنا ذلك، لكننا سندرك بعد ذلك أيضاً بسبب التغييرات الفعلية التي ستحدث في داخلنا.

## حياة الإيمان

في بداية هذا الفصل تعلمنا أنه، عندما يتعلق الأمر بالحصول على الخلاص، فإن الإيمان يتعارض مع الأعمال: « بالإيمان» يعني « ليس من أعمال»، ونحن الآن نتعلم أن الإيمان الحقيقي يؤدي إلى، أو ينتج عنه، أعمالاً صالحةً. في الواقع، الإيمان الذي لا يثمر أعمالٌ صالحةٌ فهو ليس إيماناً حقيقياً. إذاً يبدو أن هناك تناقضاً، تعال ننظر في المثال التالي مع فارق القياس.

مزارع لديه ضعف في عضلة القلب لدرجة أنه لم يعد قادراً على العمل، ثم قدَّم صديق له، هو جراح قلب، عرضاً بتنفيذ عملية زرع قلب مجاناً. كلٍ من العملية والقلب الجديد عليه أن يقبلهما كهدية مجانية. ثم يثق المزارع بصديقه الجراح، ويسلم له نفسه، ويخضع لتنفيذ العملية، ويتم تثبيت القلب الجديد بنجاح. ونتيجة لذلك، يجد المزارع نفسه مليء بالحيوية والطاقة الجديدة، ويعود لعمله بكل نشاط وفرح، يعمل ليس من أجل الحصول على القلب الجديد، ولكن لأنه قد حصل عليه.

هكذا يعطي الله كل شخص يؤمن بالمسيح هذه الهدية الروحية وهي القلب الجديد. وهو هدية مجانية حقيقية، وليس مكتسباً من الأعمال. ولكن مع القلب الجديد تأتي حياة جديدة، وطاقات جديدة، وأهداف ودوافع ورغبات جديدة تدفعهم بفرح ليقدموا أنفسهم لخدمة المسيح (انظر حزقيال١١:١٩-٢٠). هذا هو في الواقع هدف الخلاص، كما أشار بولس إلى من تغيروا. الآيات التي فيها تذكِّرهم بأنهم قد خلصوا بالإيمان بدون أعمال، تليها الآيات التي تخبرهم أنهم «مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَال صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا» (أفسس٢:٨-١٠).

**الله يعطي كل شخص يؤمن بالمسيح هذه الهدية الروحية وهي القلب الجديد**

وكذلك، فإن كل خطوة في مسيرة الحياة ستكون دعوة لممارسة مستمرة من الإيمان. والإيمان يشبه العضلات، ينمو ويتقوى مع الممارسة. الإيمان سيُمَكّن المؤمن

من العيش والعمل وفقا لوصايا المسيح. والإيمان سيقوي المؤمن على أن يحذو حذو كثيرين من أبطال الإيمان عبر كل العصور، الذين فعلوا مآثر كبيرة، وتحملوا معاناة كثيرة لمجد الله (انظر عبرانيين١١).

وعلاوة على ذلك، سوف يسمح الله بإمتحانات للإيمان، بعض الأحيان ستكون شديدةً مؤلمةً، بحيث تُظهر معدن هذا الإيمان وحقيقته. وهكذا سيكون تنقيته مثل تنقية الذهب بالنار لتطهيره من كل الشوائب، وجعل الذهب أكثر قيمة (١بطرس١:٦-٧). ولكن على كل مؤمن أن يتأكد أن الله لن يسمح له بأن يتجرب فوق ما يستطيع أن يتحمل (١كورنثوس١٠:١٣) بل ان المسيح بشفاعته سيحفظ إيمانه، وإذا تعثر، سيقيمه، كما فعل مع بطرس قبلاً (لوقا٢٢:٣١-٣٢؛ عبرانيين٧:٢٥).

الإيمان سيُمكِّن المؤمن أيضاً من التمسك بالتعليم الصحيح للحياة المسيحية التي يدعونا لها العهد الجديد. كما أوصى بولس تلميذه: «جَاهِدْ جِهَادَ الإِيمَانِ الْحَسَنَ» (١تيموثاوس٦:١٢-١٦). والإيمان بكل تأكيد سوف يجني المكافأة النهائية:

> «قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ، وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقَطْ، بَلْ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضًا» (٢تيموثاوس٤:٧-٨).

# ١٣

# التقديس

## كما الآب، كذلك الإبن

في هذا الفصل سندرس مصطلح «التقديس». وهي العملية التي فيها يُحَوِّل الله أُناساً خطاةً إلى قديسين. والعهد الجديد مليء بشكل عام بهذا المصطلح الذي قد يكون غريباً للبعض، خاصة أولئك الذين ليسوا على دراية به، ومن مرادفاته المستخدمة بكثرة هي كلمة «قديس». وفي اللغة العامية نستخدم لقب «قديس» عادة بإعتباره لقب شرفي، بالإشارة إلى الرسل المسيحيين، مثل القديس بطرس، القديس بولس... إلخ، وهكذا أيضاً يُستخدم للأشخاص الذين يُعتقد أنهم قد بلغوا إلى درجة متقدمة في القداسة في حياتهم، مثل القديس أنطونيوس أو القديسة هيلانا على سبيل المثال.

ولكن يختلف إستخدام العهد الجديد لهذا المصطلح بشكل ملحوظ عن ذلك. حيث أنه لم يرد أبداً في النص الأصلي أية إشارة إلى الرسل بألقابٍ مثل القديس بطرس، أو القديس بولس، وما إلى ذلك، لأن عناوين الرسائل ليست أصلية بل قد أُضيفت في وقتٍ لاحقٍ، وذلك على الرغم من أن الرسل والأنبياء بشكل عام يُشار إليهم أحياناً بإعتبارهم «رُسُلِهِ الْقِدِّيسِينَ وَأَنْبِيَائِهِ» (أفسس٣:٥؛ ٢بطرس٣:٢).

ن ناحية أخرى، فإنه يُشار إلى جميع المسيحيين دون استثناء بإستمرار بإعتبارهم قديسين. على سبيل المثال، يذكر الوحي في أعمال الرسل٩:٣٢، أن بطرس «نَزَلَ أَيْضًا إِلَى الْقِدِّيسِينَ السَّاكِنِينَ فِي لُدَّةَ»، وهذا لا يعني أنه ذهب لزيارة قلة مختارة من المسيحيين «القديسين»، بل إن كلمة قديسين هي وصف يورده العهد الجديد بشكل إعتيادي عند الإشارة إلى المسيحيين في تجمعاتهم المحلية.

والأكثر إثارة للدهشة أن رسالة بولس إلى الكنيسة التي في كورنثوس تبين أنه بالرغم من أن كثيرين من أعضاء الكنيسة لهم سلوكيات غير لائقة، إلا أن بولس في كلمته الإفتتاحية يصف جميع الأعضاء بِ«الْمُقَدَّسِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، الْمَدْعُوِّينَ قِدِّيسِينَ» (١كورنثوس١:٢).

وهذه اللغة، ليست سطحية أو أنها تحمل نفاقاً دبلوماسياً. بل إنها تنبع من القلب

في الإنجيل. ومع أن بعض المؤمنين الكورنثيين جاءوا للإيمان من خلفيات غير أخلاقية للغاية؛ إذ كانوا خطاة، وكثيرين منهم لا يزالون في ضعف روحي وعدم نضوج. ولهذا يقول لهم بولس: « لكِنِ اغْتَسَلْتُمْ، بَلْ تَقَدَّسْتُمْ، بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلهِنَا» (١كورنثوس٦:١١). وهنا لا يعني أن الأشخاص الذين تقدسوا وأصبحوا قديسين، هم بلا حاجة لأن يستمروا في تقدمهم في القداسة العملية. لكنه يؤكد أن هذه القداسة هي إستحقاقات ذبيحة المسيح حيث أن جميع الذين وضعوا ثقتهم فيه، قد أعلن الله أنهم تَقدَّسوا حقاً ويسميهم العهد الجديد «قديسين».

دعونا نرى كيف يمكن أن يكون هذا، ولنبدأ بتعريف «التقديس». عملية التقديس لها جانبين، أحدهما سلبي، والآخر إيجابي:

١. الجانب السلبي، وهو الذي ينطوي على الإنفصال عن كل نجاسة وعدم نقاوة، وبعبارة أخرى: التطهير.

٢. أما الجانب الإيجابي، فهو يعني الإنفصال إلى الله وخدمته، وبعبارة أخرى: التكريس.

والجانبين نجدهما بوضوح في عبرانيين ٩:١٣-١٤. وهنا نجد الكاتب يوضح الإختلاف والتناقض بين الوسائل اليهودية القديمة للتقديس مع تلك المسيحية. إنه يربط التقديس مع كلٍ من الجانبين السلبي (حيث التطهير من الدنس) والإيجابي (حيث التكريس لخدمة الله):

> «لأَنَّهُ إِنْ كَانَ دَمُ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ وَرَمَادُ عِجْلَةٍ مَرْشُوشٌ عَلَى الْمُنَجَّسِينَ، يُقَدِّسُ إِلَى طَهَارَةِ الْجَسَدِ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلهِ بِلاَ عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَال مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اَللهَ الْحَيَّ!» (عبرانيين ٩:١٣-١٤).

وهنا يجب أن نلاحظ أن العهد الجديد يتحدث عن «التقديس» بأنه يُحرَز في ثلاثة مراحل: تقديس إبتدائي، ومستمر، ونهائي. وهذا ما سنفنده في ما بقي من هذا الفصل مع الفصل التالى.

## التقديس الإبتدائي

أولاً، لاحظ ما يقوله العهد الجديد عن كيفية التقديس الإبتدائي:

### ١. بتقديم جسد المسيح

«لِذلِكَ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ:«ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا لَمْ تُرِدْ، وَلكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَدًا... ثُمَّ قُلْتُ: هنَذَا أَجِيءُ. فِي دَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي، لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا اللهُ»...فَبِهذِهِ الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً» (عبرانيين١٠:٥ و٧ و١٠).

**إنّ ما يجعلنا مقدَّسين ليس هو إجتهادنا في تنفيذ وصايا الله وفعل مشيئته، بل من خلال عمل يسوع المسيح الكامل**

ذاً ما يجعلنا قديسين، ليس هو إجتهادنا في تنفيذ وصايا الله وفعل مشيئته. لأن كل جهودنا لتحقيق هذه الغاية، حتماً ستنتهي بتقصير كارثي من جهة النقاوة والقداسة التي تتطلبها معايير الله. أما الإنجيل -البشارة المفرحة- فهو يخبرنا بأننا مقدسون ومقبولون لدى الله من خلال شخص آخر، وهو يسوع المسيح وعمله الكامل. كانت إرادة الله أن يُقدِّم المسيح جسده كذبيحةٍ بلا خطيةٍ كبديلٍ عنا، وقد فعل ذلك مرةً واحدةً للجميع عندما قدم نفسه إلى الله على الصليب. نعم بهذه الذبيحة، وليس جهودنا، نحن مقبولون لدى الله، رغم كل اخفاقاتنا.

**٢. بدم المسيح**

«لأَنَّهُ إِنْ كَانَ دَمُ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ وَرَمَادُ عِجْلَةٍ مَرْشُوشٌ عَلَى الْمُنَجَّسِينَ، يُقَدِّسُ إِلَى طَهَارَةِ الْجَسَدِ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلهِ بِلاَ عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَال مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اَللهَ الْحَيَّ!» (عبرانيين٩:١٣-١٤)

وهنا نجد أنه لا يمكن لأحد أن يخدم الله الحي ويكون مقبولاً في خدمته، بينما ضميره مُدَنَّس بالذنوب. فالخطية تُلقي بظلالها على الإنسان منذ سقوطه، وعلى كل من يفعل الخطية. إذ لا توجد أية ممارسات دينية من جانبنا نحتاج أن نزيدها حتى نتخلص من هذا الدنس. ولا حتى الإحتفالات الدينية وطقوس الغسل تنفع (انظر متى١٥). ولكن ما لا نستطيع القيام به، إستطاع دم المسيح أن يفعله إذ أن: «دَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ» (١يوحنا١:٧). فإنه يُطَهِّر ضمائرنا ويُطلِقنا أحراراً مجاناً لنَخدُم الله الحي.

لاحظ أن تأثير دم المسيح، يَعمل فيما أسميناه الجانب السلبي من التقديس، وهو التطهير من الدنس. والسؤال الآن هو تُرَى ما الذي يُؤثِّر في الجانب الآخر الإيجابي من التقديس، ويجعلنا مكرسين لخدمة الله؟

من جانب الله، يتم ذلك بعمل الروح القدس في قلوبنا إذ يقوم بالآتي: إدانتنا على الخطية، وإجتذابنا للمخلص، وبكَشفِه لنا طريق الله للخلاص، وغَرزِه في أعماقنا، و يُجدِّد لنا الحياة بقوته، ويُعطِينا حياة الله بكل الإمكانيات اللازمة للحياة المقدسة.

«بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ خَلَّصَنَا بِغُسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (تيطس٣:٥).

«بِمُقْتَضَى عِلْمِ اللهِ الآبِ السَّابِقِ، فِي تَقْدِيسِ الرُّوحِ لِلطَّاعَةِ، وَرَشِّ دَمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (١بطرس١:٢).

وأما من جانبنا فإن إتمام كل من الجانبين السلبي والإيجابي من التقديس في قلوبنا فهو يحدث بالإيمان:

«وَاللهُ الْعَارِفُ الْقُلُوبَ...مُعْطِيًا لَهُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا لَنَا أَيْضًا. وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَنَا (اليهود) وَبَيْنَهُمْ (الأمم) بِشَيْءٍ، إِذْ طَهَّرَ بِالإِيمَانِ قُلُوبَهُم» (اعمال١٥:٨-٩).

عندما نستجيب لعمل الروح القدس في قلوبنا، ونتخلي عن الثقة بأنفسنا للخلاص، ونضع ثقتنا في الله وحده وفي ذبيحة المسيح، عندها يَحدُث تغيير جوهري في توجه قلوبنا. وتذهب عنا حالة الإغتراب والعداوة القديمة ضد الله. ونترك استقلالنا السابق وتجاهلنا لله. ويجعلنا الروح القدس واعيين لمحبة الله من نحونا: «لأَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا» (رومية٥:٥). وهو يجعلنا ندرك أننا أصبحنا أبناء لله، ونشارك حياة وطبيعة أبينا السماوي، حتى أننا -غريزياً- ندعوه «أبا الآب» (رومية٨:١٤-١٧)، ولنا أن نكون قديسين كما أن أبانا السماوي هو قدوس (١بطرس١:١٤-١٦)

في نفس الوقت نجد أنه: «بِهِ (المسيح) لَنَا كِلَيْنَا (والمقصود هو، كل من اليهود والأمم) قُدُومًا فِي رُوحٍ وَاحِدٍ إِلَى الآبِ» (أفسس٢:١٨). وهذا، بطبيعة الحال، لم يحدث أبداً من قبل. كانت الذبائح التي يقدمها شعب إسرائيل عن خطاياهم - لقرونٍ قبل ميلاد المسيح - رموزاً فقط. وهي لا يمكن أبداً أن تمحي خطاياهم، حيث أنهم لم يدفعوا

فعلياً عقوبة خطاياهم. نتيجة لذلك، كان اليهودي العادي يُسمح له بالدخول فقط إلى الساحة الخارجية لهيكل الله الأرضي أو لخيمة الإجتماع. وكان الكهنة مسموحاً لهم بالدخول إلى القدس ولا أكثر. بينما سُمح فقط لرئيس الكهنة بالدخول إلى قدس الأقداس حيث هناك عرش الله وذلك مرة واحدة في السنة.

ولكن الآن بعد أن جاء المسيح وقدم نفسه كذبيحة مثالية للخطية، تَغَيَّر كل ذلك. فقد أَكمَل المسيح وإلى الأبد أولئك الذين قَدَّسَهم (عبرانيين١٠:١٤). لذلك، فإنه صار لجميع المؤمنين - وليس فقط لقلة مختارة - هذا الحق الروحي في الدخول إلى قدس الأقداس، إلى حضرة الله ذاته في السماء نفسها، ولهم ثقة بالدخول والتقرب إلى الله كل حين، هنا على الأرض. (وعبرانيين١٠:١٩-٢٢)، يوضح لنا كيف يمكن أن يكون هذا الاقتراب: يسوع فتح الطريق لكل من يؤمن من خلال دمه، وقد رُشَّ قلب كل مؤمن بالدم لتطهيره من الضمير الشرير (مَجازِيّاً)، واغتُسل بماءٍ نقيٍ (قارن يوحنا١٣:٦-١١).

**يسوع فتح الطريق لكل من يؤمن من خلال دمه**

ومع التمتع المستمر بالدخول إلى حضرة الله، أصبح المؤمنون مدركين أنهم كهنة لله، جميعهم مكرسين لخدمة الله من خلال دم المسيح (رؤيا١:٥-٦؛ ٥:٩-١٠). ولهذا يُخبِر الرسول بطرس جميع المؤمنين شركائه:

«كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيِّينَ كَحِجَارَةٍ حَيَّةٍ بَيْتًا رُوحِيًّا، كَهَنُوتًا مُقَدَّسًا، لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ... وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ. الَّذِينَ قَبْلاً لَمْ تَكُونُوا شَعْبًا، وَأَمَّا الآنَ فَأَنْتُمْ شَعْبُ اللهِ. الَّذِينَ كُنْتُمْ غَيْرَ مَرْحُومِينَ، وَأَمَّا الآنَ فَمَرْحُومُونَ». (١بطرس٢:٥ و ٩-١٠).

يُنتِج كل هذا الفهم في المؤمنين حُباً عميقاً تجاه الله. وهذا ما يقوله الرسول يوحنا، «نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً» (١يوحنا٤:١٩). وهذا بدوره يُصبِح لهم الدافع لتكريس حياتهم بكل سرور في البيت، في المدرسة، في المصنع أو المكتب، أو في الحقل، لخدمة الله.

وهذا ما يدعو إليه الرسول بولس قائلاً:

«فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اِللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اِللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ. وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اِللهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَة»(رومية١٢:١-٢).

ويستند هذا النداء على منطق واضح، لا مفر منه، يتكرر كثيراً في العهد الجديد، وإليك مقطع يوضح هذا المنطق:

«لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْصُرُنَا. إِذْ نَحْنُ نَحْسِبُ هذَا: أَنَّهُ إِنْ كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ، فَالْجَمِيعُ إِذًا مَاتُوا. وَهُوَ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لاَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ». (٢كورنثوس٥:١٤-١٥).

وإليك مقطع آخر يعلن ذات المنطق الذي يدفع كل مؤمن لأن يحيا حياة مقدسة:

«أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ، الَّذِي لَكُمْ مِنَ اِللهِ، وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟ لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ. فَمَجِّدُوا اَللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيكلهِ» (١كورنثوس٦:١٩-٢٠).

ونُلاحظ هنا تكرار نفس المنطق في الشاهدين: المؤمن الذي تم افتداؤه بثمنٍ غالٍ تَكَلَّف دم المسيح، هو من الآن فصاعداً لا ينتمي إلى هذا العالم ولا حتى جسده المادي. بل صار بكل ما فيه ينتمي إلى المسيح. بل أكثر من ذلك: فقد تشكَّل جسد المؤمن ليكون هيكلاً للروح القدس بِفِداء المسيح، لأنه عندما آمن، وضع الله روحه القدوس في داخله. وهذا الحضور الخاص جداً من الروح القدس في جسد المؤمن، يجعله مقدس ومكرس كمكان لسكنى الله. وهذه الحقيقة الرائعة هي التي تَضَع على كل مؤمن واجباً مُلزماً لتمجيد الله في جسده، وتَجنُّب تَدنِيس ما قد أصبح هيكلاً للروح القدس.

**إنّ المؤمن الذي تم إفتداؤهُ بثمن غالٍ تكلّف دم المسيح فهو من الآن فصاعداً بكل ما فيه ينتمي إلى المسيح**

وترتيب الأحداث هنا قد يكون صادماً ولكنه يُنير القلب. لأنه لا يُقال للمؤمن أنه إذا نَقّى أولاً حياته بما فيه الكفاية، فإنه ربما يتعطف الروح القدس ويأتي ويجعل من جسده هيكلاً لسكناه، لكن الأمر هو العكس. فإن المسيح، بذبيحة نفسه ودمه، قد

طَهَّر بالفعل جسد المؤمن وكَرَّسه وجَعله هيكلاً للروح القدس. ولأن ذلك هو بالفعل الحقيقة، فإن المؤمن من الآن هو مسؤول، ومَدفُوع إلى الإمتناع عن كل سلوكٍ قد يُدنِّس جسده.

دعونا نُلخِّص ما تعلمناه حتى الآن. التقديس الإبتدائي، كما أسميناه، هو ليس أمراً علينا تحقيقه أو إنجازه من خلال جهودنا الذاتية لقيادة حياتنا للقداسة. لكنه أمر يمنحه الله لنا من اللحظة التي نضع فيها إيماننا وثقتنا في المسيح:

«وَمِنْهُ (من الله) أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً». (١كورنثوس١:٣٠).

وهذا التقديس الإبتدائي يتشكَّل في كلّ مؤمن فيصبح قديساً. إنه يُعطي كل مؤمن إمكانية الدخول الفوري والمباشر إلى حضرة الآب. إنه يُكرِّس كل مؤمن ويجعله كاهناً لله، لتَقديم ذبائح روحية لله وليُخبِر الآخرين بمحبة الله ونعمته الباذلة. إنه يَجعل جسد كل مؤمن هيكلاً مقدساً، يُقيم فيه روح الله. إنه يَخلق في كل مؤمن هذا الوعي الغريزي بأنه صار من الآن إبناً لله، له حياة أبيه الخاصة في داخله، وبالتالي له جميع الإمكانات اللازمة ليكون مُقدَّساً كما أن الآب قدوس. إنه يُنتِج في كل مؤمن هذا الحب والإمتنان إلى الله وإلى المسيح الذي يَدفعه لأن يعيش حياة التفاني في خدمة هذا الكائن الإلهي العظيم. وليست فقط محبة الله والمسيح تملأهُ، ولكن أيضاً له محبة لكل المولودين من نفس الأب، أياً كان عِرقهم أو جِنسهم (١يوحنا٥:١).

**إنّ التقديس الإبتدائي يتشكَّل في كلّ المؤمن فيصبح قديساً وجسده هيكلاً مقدَّساً**

ولكن حتى هذه النقطة، قد يعترض شخص عليها أيضاً قائلاً: «هذا الكلام يجعل موضوع القداسة يبدو سهلاً جداً. لكن ألا يقدم الكتاب المقدس الحياة المسيحية بإعتبارها حياة النضال، والسعي، والحرب الروحية؟» والجواب هو: نعم، كذلك، وسنوضح ذلك في الفصل التالي.

# ١٤

# التقديس
# بنوة وليس عبودية

درسنا في الفصل السابق التقديس الإبتدائي، والآن علينا بالبدء في التمعن في ما يعنيه العهد الجديد من التقديس المستمر المتنامي ثم التقديس النهائي.

**التقديس المستمر المتنامي**

وأول شيء يجب أن نلاحظه هنا هو الحقيقة الواضحة: أن الكتاب المقدس يُصِر على أنه بينما قد تم إبتدائياً تكريس الأشخاص وتشكيلهم ليكونوا قديسين حقيقيين في اللحظة التي فيها وضعوا ثقتهم في المسيح (كما رأينا في الفصل السابق)، فإنهم لا يزالون بحاجة مستمرة بعد ذلك إلى «لِنُطَهِّرْ ذَوَاتِنَا مِنْ كُلِّ دَنَسِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ، مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللهِ» (٢كورنثوس٧:١). ونلاحظ أن هذا سيخلصنا من خطأ شائع. إذ يُعلِّم الكتاب المقدس بالفعل أن الإنسان يتبرر بالإيمان فقط بنعمة الله وليس على أساس أعماله أو إحراز أي مكسب روحي سواء قبل أو حتى بعد تغييره (رومية٣:١٩-٢٨). ولكن هذا لا يعني، كما افترض كثيرون عن طريق الخطأ، أنه بمجرد أن يتبرر شخص ما بالنعمة، فإنه يصير حراً في أن يعيش حياة الخطية. لنستمع إلى أحتجاج بولس المزدوج:

«فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَنَبْقَى فِي الْخَطِيَّةِ لِكَيْ تَكْثُرَ النِّعْمَةُ؟ حَاشَا!...فَمَاذَا إِذًا؟ أَنُخْطِئُ لأَنَّنَا لَسْنَا تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ؟ حَاشَا!» (رومية٦:١-٢و ١٥).

علاوة على ذلك، يجعل بولس هذا الأمر واضحاً وبلا مجادلة إذ يخبرنا أنه عندما تعهد المسيح بخلاصنا، فهو لم يغفر خطايانا فقط، بل إنه أصر على جعلنا قديسين أكثر مما نتخيل. والتغيير الحقيقي، كما يتكلم عنه بولس في (أفسس٤:١٧-٢٤) ويذكِّر به من تغيّروا، يتضمن الإتفاق مع حق المسيح الحاسم منذ البداية «أَنْ

**عندما تعهّد المسيح بخلاصنا فهو لم يغفر خطايانا فقط بل إنّهُ أصرَّ على جعلنا قديسين**

تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ التَّصَرُّفِ السَّابِقِ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ الْفَاسِدَ»، وهو أسلوب الحياة القديم لكل شخص خاطئ، «وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ»، وهذا هو نمط الحياة الجديدة التي صممها الله بنفسه لهؤلاء الذين تصالحوا معه. وهذا يعني أن نستمر بنشاط في أن «نخلع» و «نلبس» لبقية الحياة. وبعبارة أخرى، الشخص الذي تم تبريره بالإيمان فقط بنعمة الله وليس من خلال أعماله، فإن عملية التقديس المتنامي المستمر ليست قضية أختيارية له. وفقاً للعهد الجديد، هي عملية واجبةً. وواقعياً أي شخص يرفض هذا الإلتزام، هو ليس مؤمناً حقيقياً.

ولكن دعونا الآن نلاحظ ما هي الطرق التي من خلالها يمكن لهذا التقديس المستمر والمتنامي أن يتحقق.

هناك أساساً طريقان لتحقيق ذلك. يشتمل كلا الطريقين على إجراء إيجابي ومثابرةً من جانبنا. ولكن أحد الطريقين خطأ، والطريق الآخر صحيح. الطريق الأول هو طريق العبيد، وهو غير فعال ويؤدي دائماً إلى الإحباط واليأس (أنظر رومية٧:٧-٢٥).

الطريق الآخر هو طريق أولاد الله المولودين ثانية للحرية، وهو يؤدي بهم إلى تعميق الشركة مع أبيهم السماوي أكثر من أي وقت مضى وإلى التشبه المتزايد مع طريقة تفكير السيد وتصرفه (انظر متى٥:٤٣-٣٨). وهذا ما لخصه بولس بشكل جيد في رومية٨:١٣-١٧.

> «لأَنَّهُ إِنْ عِشْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَسَتَمُوتُونَ، وَلكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِالرُّوحِ تُمِيتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ فَسَتَحْيَوْنَ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ، فَأُولئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ. إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ:«يَا أَبَا الآبُ». اَلرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلاَدُ اللهِ. فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَدًا فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضًا، وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ».

المشكلة مع الطريق الأول الخاطئ هو هذا: أنه ينظر إلى شريعة الله على أنها مقدسة وعادلة وجيدة، وأن أوامر الله معقولة، وأن الفوائد التي تأتي من تتميم الناموس هي أمور مرغوب فيها تماماً (رومية٧:١٢). ولكن من كل هذا نقفز إلى الإستنتاج الخاطئ الذي مفاده أن وصفة العهد الجديد للتقديس المستمر المتنامي ستكون بهذه البساطة: «ها هو ناموس الله، وها هي الوصايا العشر، وها هي عظة المسيح على الجبل، أضبط عقلك،

قوّي إرادتك، أبذل قصارى جهدك للحفاظ عليها، وسوف تصبح أكثر وأكثر قداسة».

ومع ذلك، تطل وجهة النظر هذه بثلاث حقائق هامة وهي:

١. لقد تضررت البشرية جداً بالخطية، وأُضعِفت وفسَدت. ربما حاولوا قدر الإستطاعة لكنهم لم يستطيعوا أن يحفظوا ناموس الله. قد يبتهجون بشريعة الله، ويخدمونها فكرياً، ويضعون كل ما لديهم من قوة للحفاظ عليها، لكن كما اعترف الرسول بولس بأنه فعل ذلك من قبل (رومية٧:٢٢، ٢٥، ١٥و ١٨-١٩). وسيجدون ما وجده بولس في أنهم سيفشلون دائماً في تنفيذها من الناحية العملية. في الواقع، سيكتشفون أنه عميقاً في داخلهم، هناك معارضة قوية لحفظ شريعة الله، وهذه (المعارضه الداخليه) تعمل بكل عزم للحفاظ على هيمنة الخطية (رومية٧:٢٣).

٢. في هذه الحالة، فإن ناموس الله، الذي هو جيد في حد ذاته، لا يمكن أن يعطي لأي شخص أية مساعدة. وهو، كما يصفه الكتاب المقدس، غير قادر على تحقيق النجاح، وذلك بسبب ضعف الجسد (رومية٨:٣). في الواقع، من خلال تركيز عقل الشخص على ميوله الخاطئة، فإنه غالباً ما يقوّي ويعزّز هذه الميول (رومية٧:٧-٨)، وبالتشديد على الفشل المستمر للشخص، فإنه يُقوِّض كل قوة له للتغلب عليها (رومية٧:٢١-٢٤)

**إنّ ناموس الله غير قادر على تحقيق النجاح بسبب ضعف الجسد**

٣. بعد هذا هناك أمر ثالث، والذي ننساه بسهولة حيث أن ناموس الله ليس فقط يرشدنا كيف يجب أن نتصرف، لكنه أكثر من ذلك. لأن الأوامر فيه مقرونة بالعقاب في حالة الفشل أو العصيان، وأقصى عقوبة هي الرفض من قبل الله. وإذا فشل شخص لمرةٍ واحدةٍ في طاعة أحد أوامره، فإن أي قدر من النجاح بعد ذلك لن يُعوِّض عن الفشل أو يلغي العقوبة. في هذا النظام حيث المطلوب هو تحقيق الكمال الثابت، لا يمكن إعتبار أن أي فائض أو زيادة في عمل الخير في أحدى الوصايا سيُعَوّض أي تقصير في وصية أخرى.

وللمساعدة في فهم الآثار العملية لهذا النظام، دعونا نبني مثالاً مع فارق القياس.

لنفترض وجود مصحة لمرضى السل في وادٍ بعيد. في آخر الوادي هناك محطة للطاقة النووية وقد بدأ فيها تسرب الإشعاع بصورة غير مرئية ولكنه قاتل. وعلى الفور نصحت الحكومة كل المرضى بالفرار من المصحة للنجاة بحياتهم. للأسف المخرج الوحيد من الوادي يستلزم المرور بأربعة ممرات جبلية إرتفاعها يصل إلى ١٢،٠٠٠ قدم، وأعلمت الحكومة كل المرضى بوجوب عُبور كل الجبال حتى يكونوا في مأمن من خطر الإشعاع.

صحيح أن نصيحة الحكومة هي بالطبع جيدة ومهمة؛ وأن أي شخص عاقل لابد وأنه يريد اتِّباعها. لكن ما حدث هو فشل الحكومة في إعطاء هؤلاء المرضى أية مساعدة لعبور هذه السلسلة الجبلية: بدون تقديم مروحيَّات، ولا حافلات، ولا حتى خيول. ولم يتبقّى على المرضى إلاّ القيام بأفضل ما لديهم سيراً على الأقدام. وعليهم بذل جهداً بطولياً للفرار من هذا الإشعاع المميت مُساقين بروح الخوف من أنه قد يُدركهم، ولكن مرضهم جعل تقدمهم بطيء ويدعو إلى الرثاء حتى أصبح من الواضح أنه ليس لديهم عملياً أي أمل في عبور نطاق الإشعاع قبل أن يصرعهم إما المرض الأصلي، أو مشقات الرحلة، أو آثار الإشعاع.

ولكن لنفترض بالإضافة لما سبق أن الحكومة قالت لهم أنه يجب عليهم عبور الجبال الأربعة في غضون ثلاثة أيام. وأن أي شخص سيستغرق وقتاً أطول، لابد وأنه سيتعرَّض للإشعاع المميت. وبالتالي فإنه وجب عليهم الركض كالطلقة قدر طاقتهم. وفي ضعف حالتهم وجدوا أن عبور الجبلين الأولين استلزم أكثر من الثلاثة أيام المسموح بها. تُرى أي كفاح ومعاناة يحتاجون إليها من أجل عبور الجبلين المُقبِلين، إذا كانوا في نهاية المطاف، على الرغم من كل الجهود المبذولة، سيواجهون الإعدام؟

كل خلية في كياننا تعترض على أن يكون الله بهذا الشكل، وبطبيعة الحال هو ليس كذلك! وإن الطريق لتحقيق القداسة المستمرة والمتنامية ليس ببساطة هو إعطاء الناس قوانين وأمرهم ببذل قصارى جهدهم لتنفيذها. لأنه لو كان الأمر كذلك، فإن محنتهم ستكون أصعب من هولاء المرضى. لأن محبة الله وواقعيته قد حركته لتوفير طريق آخر مختلف تماماً.

وخطوة الله الأولى لكسر القبضةِ الخانقةِ للخطيةِ على حياة الإنسان هي بمحو عقوبة السقوط الأبدية عن كل شخص لم يحفظ الناموس كاملاً. «فَإِنَّ الْخَطِيَّةَ لَنْ تَسُودَكُمْ، لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ» (رومية٦:١٤). والمسيح بموته قد دفع

تلك العقوبة مرة واحدة وإلى الأبد (رومية٦:٦-١١). وبالتالي، الآن الحرية متوفرة. لكن لو أنهم بقوا « تحت الناموس» سيظلون مُعرَّضون للعقاب، وسيكون أي خطأ، أو زلة، أو خطية كافياً لوقوع العقاب. وفي هذه الحالة فإن أية محاولات لعمل مزيد من التقدم في التقديس، ستكون من العبث. لأن الخطية قد قهرَت وهزمَت كل محاولتهم للهروب من سيطرتها.

ولكن الآن تغيّر الحال وصار لنا رجاء وأمل. لأنه بدلاً من كل الجهود المبذولة والتي معها نُخطئ ونَسقط، صار في وسع الجميع الإعترف بالخطايا إلى الله، «فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ» (١يوحنا١:٩). وعندها لا نجد أية عقوبة تقتضي أن نواجهها الآن أو في المستقبل، فالجميع صار بإمكانهم الحصول على الحرية من كل نضال في طريق القداسة المستمرة.

والخطوة الثانية التي أتخذها الله لكسر سيادة الخطية هو بتقديم المساعدة والسلطة كما لو لن يقدمها الناموس. «إِذًا يَا إِخْوَتِي أَنْتُمْ أَيْضًا قَدْ مُتُّمْ لِلنَّامُوسِ بِجَسَدِ الْمَسِيحِ، لِكَيْ تَصِيرُوا لآخَرَ، لِلَّذِي قَدْ أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ (المسيح) لِنُثْمِرَ لِلهِ». (رومية ٤:٧). وهنا نكرر، أن ناموس الله ليس سيئاً، أو أن وصاياه ومتطلباته يمكن تجاهلها. لكن غرض الله هو أننا يجب أن نتمم كل متطلباته (رومية٨:٤). ولكن الناموس نفسه لا يوفر لنا القدرة على القيام بذلك. وجواب العهد الجديد لهذه المشكلة، هو ما يمكن أن يسمى، مجازاً، «الزواج مع المسيح»، أو كما يضعه الشاهد السابق «لِكَيْ تَصِيرُوا لآخَرَ» (انظر أيضاً ١كورنثوس٦:١٦-١٧).

قد تقرأ امرأة كتباً لا نهاية لها عن التربية ولها أشتياق لإنجاب الأطفال، ولكن لن يكون لها أي أمل في وجود طفل بدون زوج. هكذا المسيح المقام من بين الأموات، صار زوجاً روحياً محباً وحياً لأولئك الذين يثقون به، موفراً لهم ما يلزم من الحياة والقوة، « لِنُثْمِرَ لِلهِ» في شكل قداسة متنامية.

ومن الواضح أن العهد الجديد لا يصور هذه العلاقة كما لو أنها تطغى على شخصية المؤمن، هل زواج المرأة من رجل يُقلل من أنوثتها ويجعلها مجرد آلةً؟ كلا، وهكذا المؤمن لا يزال شخصاً مسؤولاً. أنه هو الذي يجب أن يكون مجتهداً في إحراز التقدم في القداسة (٢بطرس١:١-١١)، هو الذي يجب أن يعيش لإرضاء وخدمة الله. ولكن

الأمر لم يعد مجرد مسألة قراءة تعليمات مكتوبة في كتاب، أو على ألواح حجرية كما الوصايا العشر، ومن ثم عليه محاولة تنفيذها. هذا ما يسميه الكتاب «نَعْبُدَ (الله) بِعِتْقِ الْحَرْف».

«وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ تَحَرَّرْنَا مِنَ النَّامُوسِ... حَتَّى نَعْبُدَ بِجِدَّةِ الرُّوحِ لاَ بِعِتْقِ الْحَرْف» (رومية٦:٧).

إن روح الله القدوس، والذي سبق فجعل ناموس الله مكتوباً في الكتاب المقدس كإعلان عن شخص الله القدوس، هو بذاته من يحيا الآن كل هذه القوانين كشخصٍ حيٍّ من خلال كل مؤمن حقيقي. وهو يعمل في أعماق كل مؤمن لتجديد ذهنه، وتغيير هيئته، وإعادة تنظيم معاييره وتقدير القيم الحقيقية، وتمكين إرادته، وإعادة توجيه طموحه، ومعارضة رغباته الخاطئة. لأن «الرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ... حَتَّى تَفْعَلُونَ مَا لاَ تُرِيدُونَ» (غلاطية٥:١٦-٢٤).

ومع ذلك فإن هذه العلاقة بين المؤمن والمسيح من خلال الروح القدس، ليست مسألة إنطباعات مبهمة ورؤى غامضة، غير مفهومة، وبشكل لا يوصف. لكن المسيح سيوجِّه بإستمرار أذهان شعبه إلى كلمة الله. والعهد الجديد يُسجِّل لنا صلاة المسيح لأبيه من أجل تقدم تلاميذه في القداسة: «قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلاَمُكَ هُوَ حَق» (يوحنا١٧:١٧). وبالطبع لا يزال كل مؤمن قادراً على إختيار ما إذا كان «يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنَ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَادًا، وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنَ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً» (راجع غلاطية٦:٨). ولكنه لم يَعُد مُساقاً في كل اختياراته بدافع العبودية وكأنه تحت سوط العيش بالخوف من عقوبة ناموس الله، بل بقيادة الروح القدس الذي يجعله واعٍ غريزياً بأنه ابنٌ للأب السماوي، مع محبة وحياة وطبيعة الآب في داخله (رومية٨:١٤-١٧). تماماً كما أن سُفن الفضاء تدور في مدارها بفضل القوة المتولدة عن الدوران، كذلك أيضاً فإن شفاعات الروح القدس تعمل جنباً إلى جنب مع الرغبات الداخلية الخاصة للمؤمن، لتحفظ المؤمن في دائرة مشيئة الله المرسوم له حسب

**إنّ العلاقة بين المؤمن والمسيح من خلال الروح القدس ليست مسألة إنطباعات مبهمة ورؤى غامضة**

دعوته للغرض النهائي وهو مجد الله (رومية٨:٢٦-٣٠).

لا يزعم الكتاب المقدس أن التقدم في القداسة اليومية هو دائماً أمرٌ سلس. عندما يشرد ابنٌ لله عن مساره، كالأطفال، أو يحتاج إلى بعض الدوافع لزيادة تقدمه، فإن الله كالأب المحب لا يتردد في تأديبه. وقد يكون هذا التأديب مؤلماً. ولكن الآب المحب الحكيم سيُنَفِّذّه بحيث يأتي للمؤمن بأفضل مشاركة في قداسة الآب (عبرانيين١٢:١-١٣). والهدف من ذلك هو مؤكد ومضمون. ومن حيث بدأنا نؤكد أن المؤمن له توكيد بأنه قد تبرر بالإيمان، ووجب عليه تحقيق مجد الله (رومية٥:١-٢).

## التقديس النهائي

من وقت لآخر قد نجد بعض الناس الذين شَكَّلوا الفكرة التي تَدَّعي أن المسيحيين يمكن أن يكونوا كاملين وبلا خطية في هذه الحياة. وهو ما ينفيه تماماً الكتاب المقدس. إذ طالما أننا نعيش في هذا العالم علينا جميعاً أن نعترف مع بولس:

«لَيْسَ أَنِّي قَدْ نِلْتُ أَوْ صِرْتُ كَامِلاً، وَلكِنِّي أَسْعَى لَعَلِّي أُدْرِكُ الَّذِي لأَجْلِهِ أَدْرَكَنِي أَيْضًا الْمَسِيحُ يَسُوعُ». (فيلبي٣:١٢).

سينتهي تقديس المؤمن تماماً فقط عند المجيء الثاني للمسيح. وعندها سيكون كل مؤمن مثله تماماً، جسدياً (أجساداً ممجدةً) وأخلاقياً وروحياً. ويخبرنا الكتاب المقدس كيف سيصير ذلك:

«أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ». (١يوحنا٣:٢).

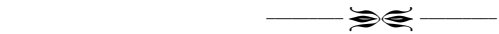

**سينتهي تقديس المؤمن تماماً فقط عند**
**المجيء الثاني للمسيح**
**عندها سيكون كل مؤمن مثله تماماً**

# ١٥

# الدينونة النهائية
# مطالب العدل

إنها لحقيقةً مثيرةً جداً للإهتمام أن تجد الأطفال، وحتى في سن مبكرة، يكون لديهم شعور عميق بما هو عادل ومنصف، وما هو غير عادل. فقد يَصيح طفل عندما يَخطف منه أخوه الأكبر لعبته الجديدة ويسمح الأبوان للأخ الأكبر بالإحتفاظ واللعب بها، قائلاً: «هذا ليس عدلاً»، وقد يقول الصبي لمدرس الصف، عندما يلومه ويعاقبه على شيء -هو في الواقع- لم يفعله قائلاً: «هذا ليس عدلاً».

**شعورنا الغريزي بالعدل**

وربما كلما تقدمنا في السن، نجد أن شدة سخطنا على الظلم قد ضعفت و قَلَّت، وذلك لسبب بسيط هو أننا شهدنا حالات كثيرة جداً من ذلك، حتى أصبحنا متبلدين وساخرين. وحتى مع ذلك، فنحن لا نزال نشعر بالغضب عندما - على سبيل المثال - نرى شخصاً يَغتني بشكل فاحش نتيجة بيعه ممتلكات عامة ليست ملكه ويضع عائدات البيع في جيبه الخاص. ونحن قد نُسلِّم إلى حقيقة أننا أنفسنا لا نستطيع فعل أي شيء حيال ذلك، ولكننا لا نزال محتجين قائلين: «هذا ليس من العدل»، وإحتجاجنا هذا سواء كان منطوقاً أو غيرَ معلنٍ، يحمل الشعور بأن شخصاً ما يجب أن يفعل شيئاً حيال ذلك: الظلم لا ينبغي أن يستمر، الغشاشون، الكذابون، القتلة، وجميع مرتكبي الجرائم الآخرين لا ينبغي أن يُسمَح لهم بالذهاب بدون عقاب.

وحتى من التاريخ، ومن تجاربنا الخاصة التي تحدث معنا، يتبين لنا أن هذا هو بالضبط ما يبدو أنه يحدث. فحتى الحكومات التي من مسؤوليتها معاقبة المجرمين، هي في ذاتها كثيراً ما تكون غارقة في الفساد وأحياناً في جرائم وحشية. وفي النهاية سيجتاز الجميع إلى الموت دون تمييز، من يحترمون القانون ومن يكسرون القانون، القديسون والخطاة على حد سواء. هل يجب أن نستنتج بعد ذلك أن الجريمة

والسهوات، والأمور التافهة والظلم الفادح، لن يتم معاقبتهم؛ وأن إحساسنا بالحق والباطل هو وهمٌ ساخرٌ، وأن أملنا في العدالة سوف يخيب إلى الأبد؟

كلا. فوفقاً للكتاب المقدس، الله نفسه هو مصدر إحساسنا بالحق والباطل. فقد كتب الخالق شريعته على قلوبنا (رومية٢:١٤-١٥)، والضميرُ هو الرقيب الداخلي الذي وضعه فينا ليحذرنا لكي لا نكسر شريعته، شاهدٌ علينا عندما نكسرها، بأننا نخطئ، وعندها ينتابنا شعور بالذنب، بعد الإنتهاء من الفعل الخاطئ.

**وفقاً للكتاب المقدّس، الله نفسه هو مصدر إحساسنا بالحق والباطل فقد كتب شرعته على قلوبنا**

يوماً ما، كما يؤكد لنا العهد الجديد، سيدافع الله عن شريعته. سيأتي يوم الدينونة النهائي، الذي هو موضوع هذا الفصل. في هذا الصدد هناك مصطلح آخر مستخدم هو، «الموت الثاني». هذا المصطلح يدل على الحالة الأبدية التي سيكون عليها أولئك الذين يجدون أنفسهم مدانين في يوم الحكم النهائي.

«ثُمَّ رَأَيْتُ عَرْشًا عَظِيمًا أَبْيَضَ، وَالْجَالِسَ عَلَيْهِ، الَّذِي مِنْ وَجْهِهِ هَرَبَتِ الأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، وَلَمْ يُوجَدْ لَهُمَا مَوْضِعٌ! وَرَأَيْتُ الأَمْوَاتَ صِغَارًا وَكِبَارًا وَاقِفِينَ أَمَامَ اللهِ، وَانْفَتَحَتْ أَسْفَارٌ، وَانْفَتَحَ سِفْرٌ آخَرُ هُوَ سِفْرُ الْحَيَاةِ، وَدِينَ الأَمْوَاتُ مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَسْفَارِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ. وَسَلَّمَ الْبَحْرُ الأَمْوَاتَ الَّذِينَ فِيهِ، وَسَلَّمَ الْمَوْتُ وَالْهَاوِيَةُ الأَمْوَاتَ الَّذِينَ فِيهِمَا. وَدِينُوا كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ. وَطُرِحَ الْمَوْتُ وَالْهَاوِيَةُ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ. هذَا هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي. وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُوجَدْ مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ» (رؤيا٢٠:١١-١٥).

### متى ستتم الدينونة النهائية؟

بقدر ما أن كل فرد هو مَعنِيّ، فإن الدينونة ستَحدُث بعد الموت: «وَكَمَا وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ الدَّيْنُونَةُ» (عبرانيين٩:٢٧). ولكن إذا كنا نسأل عن كم من الوقت بعد موت الشخص ستأتي الدينونة النهائية، فإن الجواب هو: ستتم الدينونة النهائية بعد إنحلال السماء والأرض، وهذا يعني أنها ستتم بعد نهاية العالم.

الآن من السهل أن نرى لماذا يجب أن يكون كذلك. الخطية، متى أرتُكبَت، يمكن أن يكون لها سلسلة من ردود الأفعال التي قد تستمر لفترة طويلة حتى بعد موت الشخص الذي إرتكب الخطية. على سبيل المثال، الأب ربما من خلال معاملته القاسية وعدم محبته، قد يؤذي ابنه الصغير نفسياً. وهذا الابن، سيشب وهو نفسياً لم يتعافَ من الأذى، فقد يتصرف بطريقة جارحة تجاه زوجته، والأطفال والأقارب والأصحاب بالعمل، الذين نتيجة لذلك قد يتفاعلون بدورهم بشكل ملوم.

وبالمثل الضرر والظلم الذي فعله الطغاة لملايين من الناس، قد لا يتوقف عند موت هؤلاء الطغاة، بل قد ينتشر مثل موجات على سطح مياهٍ راكدةٍ. لذا سيكون من الممكن التقدير الكامل والعادل لخطية أي شخص فقط عندما يتم قطع الشبكة المعقدة من التاريخ البشري كله في نهاية العالم.

## شمولية الحكم

الشاهد المقتبس سابقاً من سفر الرؤيا، يقول: «وَانْفَتَحَتْ أَسْفَارٌ... وَدِينَ الأَمْوَاتُ مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَسْفَارِ»، نحتاج أن لا نفترض أن أسفار الله هي تماماً مثل السجلات التي لدينا على وجه الأرض: كلمة «أسفار» هنا هي تعبير مجازي. لكنها تُذكِّرنا أن الله لديه سجل عن كل فكر وقول وفعل لأي شخص في أي وقت مضى من حياته. لا ينبغي أن تبدو لنا أن قدرة الله للحفاظ على هذه السجلات أمر لا يصدق. فالإنسان نفسه يمكنه أن يصنع، في أيامنا هذه، أجهزة كمبيوتر لها بنوك ذاكرة لا حدود لها.

**يُذكرنا العهد الجديد بأنّ الناس بعد الموت سيستمرون ليس فقط في الوجود، ولكن سوف تكون لهم القدرة على تذكر حياتهم الماضية**

ويذكرنا العهد الجديد بأن الناس بعد الموت سيستمرون ليس فقط في الوجود، ولكن، أيضاً، سوف تكون لهم قدرة على تَذكُّر حياتهم الماضية، وربما بتفاصيل واضحة أكثر مما كانت لهم قدرة على تذكرها في هذه الحياة (لوقا١٦:٢٥). والله سوف يدين ليس فقط الأفعال الخارجة من الناس بل حتى سرائرهم (رومية٢:١٦). تماماً مثلما يمكننا تسجيل أعمالنا على شريط فيديو ومن ثم إعادة تشغيلها مرة أخرى، وبذلك يمكننا في الوقت الحاضر أن نرى ما

قلناه وقمنا به منذ سنوات، وبنفس الطريقة سيكون الله قادراً على إعادة التشغيل مرة أخرى لجميع سرائر الناس وأعمالهم، أمام أعينهم على مدار السنين أو العقود أو حتى القرون الماضية.

وبالتالي فإن الدينونة ستكون عادلة وصارمة، وبحسب الشاهد السابق فإنه سيتم الحكم على كل فرد، وفقاً لأعماله أو أعمالها. ولن تتم معاقبة، أو مكافأة، أي شخص ما على ما فعله شخص آخر.

علاوة على ذلك فإن القاضي (ومن سيكون سوى ربنا يسوع المسيح: راجع يوحنا٥:٢٢و٢٧-٢٩)، سيأخذ في الإعتبار مقدار معرفة الناس بالحق والباطل. فالمسيح نفسه أقر بهذا:

«وَأَمَّا ذلِكَ الْعَبْدُ الَّذِي يَعْلَمُ إِرَادَةَ سَيِّدِهِ وَلاَ يَسْتَعِدُّ وَلاَ يَفْعَلُ بِحَسَبِ إِرَادَتِهِ، فَيُضْرَبُ كَثِيرًا. وَلكِنَّ الَّذِي لاَ يَعْلَمُ، وَيَفْعَلُ مَا يَسْتَحِقُّ ضَرَبَاتٍ، يُضْرَبُ قَلِيلاً» (لوقا١٢:٤٧-٤٨).

الإنسان الهمجي قد يقتل ببساطة لأنه نشأ من سن الطفولة في قبيلة أُمية علمته أن قتل أفراد من قبيلة مجاورة، لهو أمر جيد ومجيد. ومع أن ما يفعله هو شرير في عيني الله، لكن الله لن يعامله بنفس الصرامة التي بها يعامل بائع للمخدرات، في بلد متحضر، يعرف جيداً أن القتل هو خطية، ولكن مع ذلك فإنه يقتل عمداً عضواً منافساً له في مجتمع المخدرات.

وقد أعلن القاضي عن مبدأ آخر من شأنه أن يُوَجِّهه في حُكمِه:

«فَكُلُّ مَنْ أُعْطِيَ كَثِيرًا يُطْلَبُ مِنْهُ كَثِيرٌ، وَمَنْ يُودِعُونَهُ كَثِيرًا يُطَالِبُونَهُ بِأَكْثَرَ» (لوقا١٢:٤٨).

أي أن الأشخاص الذين عقولهم بارعة وصحتهم البدنية ممتازة، وهم يستخدمون مواهبهم بأنانية، ببساطة لتراكم ثروتهم بغض النظر عن معاناة الفقراء، ولا يسعون لأي محاولة لمحبة أقربائهم كأنفسهم، حتماً سيتم التعامل معهم بصرامة أشد من الفقراء، غير الموهوبين الذين حرمهم الفقر من مساعدة أقربائهم.(لوقا١٦:١٩-٣١).

**المصير المشترك لغير التائبين وغير المؤمنين**

إذاً، العقوبة المستحقة سوف تختلف من فرد إلى آخر. ومن جهة أخرى فإن مصير جميع الناس غير التائبين وغير المؤمنين سيكون هو نفسه. فقد تم وصفه في سفر الرؤيا٢٠:١١-١٥، بإسم «الموت الثاني»، وبإسم «بحيرة النار».

أ) الموت الثاني: يُسمَّى الموت الثاني وذلك من أجل تمييزه عن الموت الجسدي كما نَعرفه هنا على الأرض. الموت الجسدي هو باب من خلاله يمر الإنسان إلى عالم الغيب (بالنسبة لنا)، والذي يُسَمّى «الهاوية» كما ورد في الشاهد، (وهي باليونانية تعني «الغيب»). وفي ذلك العالم الغيبي تحفظ أرواح غير التائبين وغير المؤمنين في حجز قضائي، إذا جاز التعبير، في إنتظار الحكم النهائي، وبنفس الطريقة كما يحدث هنا على الأرض، فإن الجاني عندما يعتقل، يتم التحفظ عليه رهن التحقيق حتى يتم مثوله أمام المحكمة لمحاكمته من قبل قاضي بشري (قارن يهوذا ٦).

ولإعداد هذه الأرواح للمحاكمة، فإن يوم الدينونة العظيم ستسبقه القيامة من الأموات، وسيُطلق سراح الأرواح من حبسهم المؤقت وسيعاد إتحادهم مع جسد قيامة لكل منهم. وهذا هو ما يشير إليه رؤيا٢٠:١٣ بالقول: «وَسَلَّمَ الْبَحْرُ الأَمْوَاتَ الَّذِينَ فِيهِ، وَسَلَّمَ الْمَوْتُ وَالْهَاوِيَةُ الأَمْوَاتَ الَّذِينَ فِيهِمَا». أجساد من غَرِقوا في البحر (أو الذين تم حرقهم وذرُّوا رماد أجسادهم متناثرة مع الرياح) ستُقام؛ وأرواحهم سيُطلَق سراحها من الحبس المؤقت، وسيتم اتحادهم بأجسادهم. وبطبيعة الحال، هذا مثالٌ واحدٌ لجميع الذين لقوا حتفهم بطرق مختلفة وفي أماكن مختلفة.

تُرى ما الذي سيحدث بعد ذلك لأولئك الذين سيُدَانون في يوم الحكم النهائي؟ هل سيُحكَم عليهم بأن يختبروا الموت الجسدي مرة أخرى؟ كلا. لأن الموت الجسدي، هو الباب الذي من خلاله انتقلوا من عالمنا الحاضر إلي عالم الغيب، ولم يعد للموت الجسدي أية وظيفة لتنفيذها. ومن ثم فعليه أن يفسح المجال، أو أن يحل محله، نوع آخر مختلف من الموت، وهو ما يسمى «الموت الثاني» بحسب الشاهد الكتابي. وهنا السؤال: أي نوع من الموت سوف يكون ذلك؟

١. بالنسبة للفرد سيكون حالة من الموت الأدبي والروحي. لننظر مرة أخرى إلى ما تعلمناه في الفصل السابق، يعلن العهد الجديد أن كل شخص غير مُجَدَّد هو ميت

روحياً بالفعل في هذه الحياة، وهو مظلم في الفهم والفكر، ومتجنب عن حياة الله بسبب تصلب القلب، وميت عاطفياً (أفسس٢:١-٣؛ ٤:١٧-١٩). والحياة على هذه الأرض هي فرصة للتوبة لكل شخص، وإلى التصالح مع الله، وذلك حتى يُولَد ولادة ثانية روحية، وحتى تصير له مشاركة في حياة الله هنا وفي الأبدية. ولكن إذا أُهمَل أي شخص تلك الفرص، وعبر من خلال الموت الجسدي إلى العالم الأبدي، ستتم إدانته في يوم الدينونة، و سيصبح الموت الثاني مصيره إلى الأبد في تلك الحالة من الإغتراب عن حياة الله. وهي لن تكون حالة من الفناء، ولكن حالة مرض روحي ثابتة وأبدية، لا شفاء لها من قبل رحمة الله المحيية أو من قبل أي أمل في التحسن.

**إنّ الحياة على هذه الأرض عي فرصة للتوبه لكل شخص وإلى التصالح مع الله**

٢. ولكن الموت الروحي، ليس فقط للفرد، ولكن للمجتمع ككل الذي بينه يوجد الفرد. والخطية ليست مجرد مرض روحي من خلالها يمكن للفرد أن يُعاني في عزلة تامة عن جميع الخطاة الآخرين. نعم أنها تعبر عن نفسها أيضاً في مواقف الفرد وسلوكه تجاه الآخرين. والناس الذين كانوا في هذه الحياة غيورين، أو حسودين، أو شهوانيين، أو خادعين، أو معاملاتهم قاسية، أو فخورين، أو عدوانيين، لن يتغيروا فجأة إلى قديسين من خلال الموت الجسدي والمثول أمام الدينونة النهائية. الموت ليس سحراً. لاحظ أن وصف الكتاب المقدس عن العالم الآتي ليس حكاية خرافية. لك أن تتخيل ما سوف يعني أن تعيش في مجتمع ملتهب مثل هذا مع مثل هذه الأمراض الروحية والأخلاقية، التي لن تشفيها نعمة الله مع العلم أنه كان يمكن أن يقبلوها ولكنهم صاروا الآن مرفوضين وإلى الأبد.

ويُشير العهد الجديد إلى نعيم الحياة مع الله والمفتدين في السماء في تباين مع هذا النوع من المجتمع المريض الذي سيكون موجوداً خارجاً:

«طُوبَى لِلَّذِينَ يَصْنَعُونَ وَصَايَاهُ لِكَيْ يَكُونَ سُلْطَانُهُمْ عَلَى شَجَرَةِ الْحَيَاةِ، وَيَدْخُلُوا مِنَ الأَبْوَابِ إِلَى الْمَدِينَةِ، لأَنَّ خَارِجًا الْكِلاَبَ وَالسَّحَرَةَ وَالزُّنَاةَ وَالْقَتَلَةَ وَعَبَدَةَ الأَوْثَانِ، وَكُلَّ مَنْ يُحِبُّ وَيَصْنَعُ كَذِبًا». (رؤيا٢٢:١٤-١٥).

ب) بحيرة النار: مصير كل من لم يتب ومن لم يؤمن قد وُصِف ببحيرة النار. وحتى لو افترضنا أن هذه المصطلحات هي مجازية وليست حرفية، فنحن قد نتأكد من أنها تشير إلى حقيقة واقعة هي أكثر فظاعة بكثير من أي تفسير حرفي قد تشير إليه المصطلحات.

في المقام الأول، سيكون هناك ألم الضمير الواعي من كون الشخص واقع تحت غضب الله (رومية٢:٤-٦). وفي المقام الثاني، الألم من الإضطرار إلى تحمل عواقب السلوكيات والمواقف الخاطئة (غلاطية٦:٧-٨). وفي المقام الثالث، سيكون هناك معاناة من الندم، ممزوجة بعدم القدرة على التوبة -غير المُرحَّب بها- من الذنوب وهو ما يُزيد من الندم (عبرانيين٦:٤-٨).

وهذه النار لن تُفنِي الأشخاص الذين سيكونون فيها، كما تفعل النيران الأرضية الحرفية. فقد وصفها ربنا يسوع بهذه المصطلحات: «جَهَنَّمَ النَّارِ. حَيْثُ دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ وَالنَّارُ لاَ تُطْفَأ» (مرقس٩:٤٧-٤٨). عندما لا يكون هناك شيء للحرق، ستُطفأ النار، وعندما لا يكون للدود ما يتغذى عليه، فإنه يموت. ولكن حيث أن التوجهات والنوايا الخاطئة لمن هلكوا لن تتغير أبداً، فإن الآلام الناتجة من غضب الله لن تموت أبداً. والذكريات التي تؤجج نيران الندم سوف لن تنطفئ مطلقاً.

من الناحية الأخرى، تماماً كما أن الملح يُوقِف الفساد في اللحوم، لذلك، على ما يبدو، فإن النار الأبدية ستُوقِف الفساد الأخلاقي والروحي للهالكين من الإزدياد (مرقس٩:٤٨-٤٩). وكما صاغها سى. إس. لويس:

| | |
|---|---|
| الله في رحمته صنع | آلام ثابتة للجحيم |
| وهذا البؤس قد يبقى | والله في رحمته صنع |
| نيران أبدية لا تُطفأ | أمواجها بلا مزيد من الإمتداد. |

وهكذا فإن الفساد الأخلاقي والروحي لكل فرد لن يُسمح له بالأزدياد لأجلٍ غير مُسمَّى حتى يصل إلى نِسَبٍ لانهائية. في رحمة الله سيظل ما كان عليه في الدينونه النهائية. فإن «النار» ستَكبَح جماح أي مزيد من الشر.

# ١٦

# الدينونة النهائية

## صلاح الله وصرامته

فكرة أن العدالة ستأخذ مجراها في نهاية المطاف وأن كل ظالم سيتمُ معاقبته، يجب أن تملأ ذهن كل شخص يتمسك بالحق بالإرتياح العميق، إن لم تملأه بالإبتهاج. وقد صاغ المرنم قديماً في الكتاب المقدس هذه الأمور على هذا النحو:

«رَنِّمُوا لِلرَّبِّ بِعُودٍ... وَصَوْتِ نَشِيدٍ. بِالأَبْوَاقِ وَصَوْتِ الصُّورِ اهْتِفُوا قُدَّامَ الْمَلِكِ الرَّبِّ! لِيَعِجَّ الْبَحْرُ وَمِلْؤُهُ، الْمَسْكُونَةُ وَالسَّاكِنُونَ فِيهَا. الأَنْهَارُ لِتُصَفِّقْ بِالأَيَادِي، الْجِبَالُ لِتُرَنِّمْ مَعًا أَمَامَ الرَّبِّ، لأَنَّهُ جَاءَ لِيَدِينَ الأَرْضَ. يَدِينُ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ وَالشُّعُوبَ بِالإِسْتِقَامَةِ» (مزمور٩٨:٥-٩).

حتى الملحدين الذين لا يؤمنون بأن هناك يوم عظيم للدينونة، يجب أن يتمنوا قدوم يوم كهذا. وهم بالتأكيد لا يمكن أن يكونوا سعداء بأن يجدوا ملايين من الذين عانوا من الظلم في الحياة وماتوا ظلماً - بناء على نظريتهم – دون أن يحصلوا على العدل نهائياً.

ولكن هناك جانباً آخر لهذه المسألة. بينما يقف الجميع بجانب العدالة، وحُكمُنا الأخلاقي يوافق على أن العدالة يجب أن تَحدُث، فإن قلب الإنسان لديه أسبابه الخاصة التي تجعله ينفر من هذه الفكرة الداعية إلى أن أي إنسان يَجب أن يَخضع للعقاب الأبدي. العقوبة تبدو قاسية بشكل لا يمكن تصوره، وقد تبدو غير متناسبة. فإنه حتى غريزة الإنسان قد تشير أن الرحمة يجب أن تنتصر على العدالة الصارمة، وإذا شعرنا بذلك، ألا ينبغي لله بحكم التعريف أن يشعر بهذه الطريقة أو حتى أكثر من ذلك؟

ثم هناك سبب آخر لماذا نحن ننفر من فكرة الدينونة النهائية. وهو ببساطة هذا: أن كل واحد منا يدرك أنه أيضاً قد اخطأ، وأن خطاياه، وليس فقط خطايا الخطاة سيئي السمعة، تستحق العقاب. وعندما يدرِك الناس هذا، فإنهم سيميلون إلى بدء التفكير في

الإعتراضات في محاولة ليثبتوا لأنفسهم أنه لا يمكن أن يكون، ولن يكون، أي شيء مثل هذا العقاب الأبدي. دعونا نفحص بعضاً من هذه الإعتراضات.

**إعتراض - ١**

«إله المحبة لن يعاقب أي شخص».

أ) الجواب الأول: العكس تماماً هو الصحيح. وهذا هو بالضبط ما يجب: لأن الله هو إله المحبة، فإنه سوف يعاقب الخطية. إذا سمّم تاجر مخدرات إبنتك، وجعلها مدمنة للمخدرات ودمر عقلها، فلن يتصرف الله أبداً وكأن هذا لا يهم. هو يحب إبنتك، وأية خطية ضدها تجلب غضب الله. وإذا لم يَتُب تاجر المخدرات أبداً، فإن الله سوف لن ينسى له أبداً هذه الجريمة، وتحديداً لأن محبة الله أبدية. وهذا يعني أنه سيكون غاضباً ضد تاجر المخدرات إلى الأبد.

ب) الجواب الثاني: الله هو في الواقع إله المحبة، ولا يمكن لأحد أبداً أن يخبرنا بالمزيد عن محبة الله ويجعلنا نشعر بحقيقتها بشكل أكثر عمقاً مثل شخص يسوع المسيح. وربما أعظم وأشهر تعبير عن محبة الله هو:

«لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ». (يوحنا٣:١٦).

وحتى في هذه الآية ينبغي أن نلاحظ أن محبة الله قد تَجلّت في ما قام به الله ليخلصنا من الهلاك. فقد أعطى أكبر قدر ممكن من كل العطايا التي يمكن تصورها، جوهره الخاص، ابن الله نفسه. وهو قدم هذه العطية حتى يمكن لأُناس خطاة مثلنا أن يجدوا الغفران، وأن لا يتألموا أبداً من عقاب خطاياهم. ولكن مرة أخرى حقيقة أن الله كان عليه أن يذهب إلى هذا الحد المدقع ليخلصنا من الهلاك، يجب أن يُشدِّد في أعماق تفكيرنا على خطورة ما من شأنه أن يعني لأحد أن يموت.

**ينبغي أن نلاحظ أنّ محبة الله قد تجلَّت في ما قام به الله ليخلصنا من الهلاك**

ونفس هذا الإنطباع جاء في كلمات المسيح:

«اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ» (يوحنا٥:٢٤).

وهو هنا يستحث إيماننا حتى يرفع عنا كل دينونةٍ ويُنقذنا من الموت الأبدي.

وقد يراودنا سؤال: بأي حق كان عليه أن يقول هذا؟، وعلى أي أساس يقدم مناداته. والجواب هو أولاً أنه قدم كلماته كمن سيكون القاضي في يوم الدينونة النهائي:

«لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَدًا، بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ... وَأَعْطَاهُ سُلْطَانًا أَنْ يَدِينَ أَيْضًا، لأَنَّهُ ابْنُ الإِنْسَانِ». (يوحنا٥:٢٢، ٢٧).

وفي المقام الثاني، فإن الجواب هو، مع أنه سيكون قاضياً في يوم الدينونة النهائي، فهو نفسه الذي تحمل على الصليب العقوبة والعقاب من ناموس وقوانين الله نيابة عن جميع الذين سوف يتوبون ويؤمنون، حتى لا يَضطَّروا إلى تحمل العقوبة بأنفسهم. ولكن النتيجة التي لا مفر منها لذلك هي: إن كل من سيتجاهل نداء المسيح للتوبة والإيمان، فسوف يهلك لا محالة.

لذلك، وعند هذه النقطة علينا أن ننظر مرة أخرى إلى الشاهد الذي سبق وأن درسناه في الفصل السابق (رؤيا٢٠:١١-١٥) ونلاحظ وضوح ما يخبرنا به الكتاب عن العامل الحاسم الذي يقرر ما إذا كان الشخص سيُلقى في بحيرة النار أم لا. وها هي الآيات ذات الصلة:

«وَرَأَيْتُ الأَمْوَاتَ صِغَارًا وَكِبَارًا وَاقِفِينَ أَمَامَ اللهِ، وَانْفَتَحَتْ أَسْفَارٌ، وَانْفَتَحَ سِفْرٌ آخَرُ هُوَ سِفْرُ الْحَيَاةِ، وَدِينَ الأَمْوَاتُ مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَسْفَارِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ... وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُوجَدْ مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ»

وهنا دعونا نلاحظ أولاً ما لا يقول عنه الكتاب. فإنه لا يقول: «وكل من أرتكب العديد من الخطايا السيئة طُرح في بحيرة النار»، ولا قال: «وكل من أرتكب عدداً قليلاً من الخطايا البسيطة سيتم تعويضه بالقيام بالكثير من الأعمال الصالحة، لكي لا يُطرَح في بحيرة النار». كلا، فبحسب الشاهد المذكور، فإن العامل الحاسم هو هذا:

«وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُوجَدْ مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ» (رؤيا٢٠:١٥).

سِفْرُ الْحَيَاة...هُو... سِفْرِ حَيَاةِ الْخَرُوفِ (انظر رؤيا٢١:٢٧)، وفي هذا السفر مكتوب أسماء كل الذين تابوا ووضعوا ثقتهم في حمل الله. ومنذ أن دفع عنهم ثمن عقوبة خطاياهم نيابياً، والعهد الجديد يُعطيهم هذه التأكيدات المجيدة: «إِذًا لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ... نَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْغَضَب»(رومية٨:١؛ ٥:٨-٩). وأكثر من ذلك، فكل الذين قبلوا المسيح كنائب عنهم ومُخلِّص، لهم أن يعرفوا هنا والآن في هذه الحياة، أن أسماءهم قد كُتبت في سفر الحياة. والرسول بولس وشركاؤه أختبروا ذلك (فيلبي٤:٣)، وهكذا يجوز لنا.

لكن مع ذلك، إذا رفض الناس هذا المخلص الذي قدمه الله، كما فعل الكثيرون بكل أسف من قبل، فإن أسماءهم لن تُكتَب في سفر حياة الخروف. وماذا يمكن لله أن يقوم به لخلاصهم بعد كل هذا؟ هم من صنعوا إختياراتهم. وحتماً سوف يُطرَحون في بحيرة النار، يُقاسون من عقوبة وعواقب خطاياهم. وعندها لن يلوموا إلا أنفسهم. وبالتأكيد لن يقدروا على إنتقاد الله لقضائه. لأن الله كلي الصلاح. وبديهياً لن تكون هناك جنة بديلة لأولئك الذين رفضوه. ولن يُقدِّم الله تحت أي إلتزام أخلاقي شيئاً مستحيلاً لأن «هذِهِ هِيَ الدَّيْنُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً». (يوحنا٣:١٩)، وسوف يَأخذون ما سبق أن أختاروه هم بأنفسهم ولأنفسهم.

**إذا رفض الناس المخلِّص الذي قدّمه الله، كما فعل الكثيرون، بكل أسف، فإنّ أسمائهم لن تكتَب في سفر حياة الخروف**

الآن دعونا نلاحظ جانباً آخر من عدل الله. فجميع الذين يرفضون خلاص الله سيكونون متساوين في أنه، سيتم طرحهم في بحيرة النار. ولكن لن يتحمل الكل نفس قساوة العقاب. يخبرنا الشاهد الذي بين أيدينا، أنه سيتم الحكم عليهم وفقاً لأعمالهم. فحتى في محاكم العدل الإنسانية، قد تتم إدانة شخصين ويحكم عليهما بالسجن لتماثل الجريمة ومع ذلك قد يتلقيان أحكاماً مختلفةً بسبب الظروف المختلفة التي أثرت على حالة أحدهما وعدم وجودها للآخر. فإن السيدة المرموقة التي لم يَسمح لها كبرياؤها لأن تتواضع، وتُقدِّم توبة خالصة وتَضع ثقتها في المخلص، حتماً ستعاني من خسارة أبدية، لكنها لن تعاقب على نفس

القدر من المعاناة كالتي سيواجهها هتلر مثلاً الذي تتلوث يديه بدماء الملايين.

علاوة على ذلك، ولكي نرى أن الله عادل ويقدم مساواة في كل معاملاته، دعونا نتذكر خاصية أخرى من أحكامه. نعم كل الذين وضعوا ثقتهم في المسيح للخلاص سيخلصون إلى الأبد ليس على أساس أعمالهم بل بإيمانهم. لكن من ناحية أخرى أولئك، الذين منذ ولادتهم الثانية قد عاشوا حياتهم لإرضاء الله، يجب أن يكافأوا على أعمالهم الصالحة. على خلاف أولئك المؤمنين الحقيقيين الذين تساهلوا رغم ولادتهم الثانية وعاشوا بعدم مبالاة، وأنتجت أعمالهم نوعية دون المستوى المطلوب، بالتأكيد سيعاني هؤلاء من خسارة. وستُحرق أعمالهم غير اللائقة، على الرغم من أنهم سيخلصون، ولكن كما بنار (١كورنثوس٣:١٤-١٥).

**إعتراض – ٢**

«ولكن ماذا عن ملايين الناس الذين عاشوا قروناً قبل المسيح، ولم يسمعوا عن يسوع. فكيف يمكن لله أن يدينهم لعدم إيمانهم بيسوع؟»

ولكنه لن يَدِين. لن يَدين الله أيّ شخص لعدم إيمانه بما لم يسمع عنه أبداً (يوحنا١٥:٢٢-٢٤). ولكن كل الناس يعرفون في أعماق قلوبهم أن الله موجود. والكون يقدم أدلة وافرة على وجوده. والناس جميعاً يعرفون في ضمائرهم أنهم قد اخطأوا ضد الله (رومية١:١٨-٢:١٦). هؤلاء الذين يعترفون بخطاياهم ويُلقون بأنفسهم على رحمة الله سوف تغفر لهم خطاياهم. إن موت وتضحية يسوع على الصليب، لهو عمل كامل وكافٍ لعدل الله أن يغفر خطاياهم حتى لو كانوا لم يسمعوا قط عن يسوع (رومية٣:٢٥). وبالتالي سيُحاكِم الناس على أساس ما وصلهم من نور، وليس وفقاً للنور الذي لم يكن قد وصلهم.

**هؤلاء الذين يعترفون بخطاياهم ويلقون بأنفسهم على رحمة الله سوف تُغفر لهم خطاياهم**

ولكن كل من يقرأ هذا المقال بالتأكيد قد سمع عن يسوع، وفي حاجة للسماح له بتحذيرهم بأنه في يوم الدينونة النهائية سيتم التقييم بحرص دقيق على قدر النور الذي وصل لكل واحد، وعلى قدر الفرص التي أُعطِيت لمعرفة الحق والإيمان. بحسب ما قاله المسيح، أولئك الذين لديهم نور كثير، ليسوا بالضرورة هم من يفعلون ردود الأفعال الصحيحة. فإن كثيراً من المثقفين والمتدينين بين معاصري المسيح نفسه، كانوا أقل استعداداً للتوبة والإيمان من الأمم الوثنية (لوقا١١:٢٩-٣٢).

**إعتراض – ٣**

«أليس من غير العدل أن يعاقب الله شخصاً ما إلى الأبد من أجل الخطايا، حتى وإن كانت كبيرة، والتي إرتُكبت خلال فترة وجيزة من الحياة ربما تكون سبعين سنة أو نحو ذلك».

ولكن يستند هذا الإعتراض على سوء فهم مزدوجٍ:

١. لأنه يفترض أن من أخطأوا في هذه الحياة، هم أولئك الذين يرفضون الله والمسيح وأنهم سوف يتوقفون بطريقة أو بأخرى عن الخطية وعن أن يكونوا خطاة في العالم الآتي. وهذا ليس صحيحاً.

٢. لأنه يفترض أن من رفضوا التوبة في هذه الحياة، فإنهم سيتوبون ويؤمنون بالمخلص في العالم الآتي. ولكن هذا ليس صحيحاً، لأن أولئك الذين رفضوا المخلص وتحدوا الله هنا، سيستمرون على رفضهم للمخلص وتحديهم لله في الآخرة. إذ هم مرتكبون لخطية أبدية (مرقس٣:٢٩). الرجل الغني الغبي في القصة التي قالها ربنا يسوع في (لوقا١٦:١٩-٣١)، والذي وجد نفسه بعد الموت في إنفصال عن الله، وقد أظهر في العذاب دليلاً على الندم والحسرة، ولكن لم يكن أيٌّ منها توبةً حقيقيةً.

**إعتراض – ٤**

«إذا كان كلُّ هذا صحيحاً، فإن الله المحب سيُجبِر الناس على التوبة والإيمان حتى ولو رغماً عنهم». كلا، لن يفعل هذا، إن ذلك ليس من شأنه. واحدة من الأشياء التي تميز البشر عن الحيوانات والنباتات هي إمتلاكهم لإرادة حرة. الإنسان هو كائن أخلاقي وروحي، مخلوق على صورة الله، مع قدرة مدهشة من حرية الإختيار تسمح له إما أن يحب ويطيع خالقه أو يرفضه. والله لن يمحوَ تلك الإرادة الحرة من الإنسان، ولا حتى بغرض خلاصهم. لأنه إذا فعل، فإن من سيَخلُص لن يكون فيما بعد إنساناً، ولكن قد يكون حيواناً، أو نباتاً، أو حتى ماكينة. إلى جانب ذلك، الله ليس ديكتاتوراً. فمن الممكن لإنسان أن يرفض الله ويقاومه، ومع ذلك يظل موجوداً أبدياً.

**إعتراض – ٥**

«إن شحن أذهان الناس بشأن ما سيحدث لهم بعد الموت، سيصرفهم ويثنيهم عن الإستفادة القصوى من حياتهم هنا على الأرض».

العكس تماماً هو الصحيح. الإيمان في السماء والجحيم يستثمر كل فكر، وموقف، وفعل في حياتنا على الأرض مع الأهمية النهائية. فمن رفض الإيمان في السماء والجحيم، هو من يحط من القيم الأخلاقية والروحية للإنسان.

**إعتراض – ٦**

«عديموا الإنسانية والمشاعر فقط هم من يؤمنون ويُبشِرون بالجحيم الأبدي».

ولكن يسوع المسيح، أكثر من أي شخص آخر الذي علمنا أن الله محبة، وهو نفسه من حذرنا بدموع عن حقيقة وواقعية جهنم. فقد تحدث عن جهنم أكثر من أي شخص آخر في الكتاب المقدس كله. هو الذي مات ليخلصنا من الجحيم، لكنه لا يزال يحذرنا أنه لم يمت بلا داعٍ، وهو يأسف على كل من لم يتُب اليوم كما أعلن عن أسفه مرة على أورشليم:

**لقد تحدَّث المسيح عن جهنَّم أكثر من أي شخص آخر في الكتاب المقدّس كلّهُ**

«يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا!» (لوقا١٣:٣٤).

من خلال رثاء المسيح هذا، يمكننا أن نسمع دقات قلب الله خالقنا:

«لأَنِّي لاَ أُسَرُّ بِمَوْتِ مَنْ يَمُوتُ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَارْجِعُوا وَاحْيَوْا» (حزقيال١٨:٣٢).

ولذلك سيكون من الحكمة أن نحذو حذو ملايين الناس عبر كل العصور الذين سلكوا هكذا:

«وَكَيْفَ رَجَعْتُمْ إِلَى اللهِ مِنَ الأَوْثَانِ، لِتَعْبُدُوا اَللهَ الْحَيَّ الْحَقِيقِيَّ، وَتَنْتَظِرُوا ابْنَهُ مِنَ السَّمَاءِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، يَسُوعَ، الَّذِي يُنْقِذُنَا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي» (١تسالونيكي١:٩-١٠).

# ١٧

# الخلاص

## المفهوم الشامل العظيم

مفهوم الخلاص هو مفهوم مركزي في العهد الجديد، والسبب في ذلك واضح. فعندما كان المسيح على وشك أن يولد، أُوحِيَ ليوسف الذي كان مزمعاً أن يتزوج مريم، فأُعطِي توجيهاً أن يدعو إسمه «يسوع»، وهو الشكل اليوناني من الإسم العبري والذي معناه «الرب يخلّص». هذا الاسم أُعطِي له كما أخبره الملاك قائلاً: «لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ» (متى١:٢٠-٢١). الخلاص إذاً، كان هو الغرض من مجيء المسيح إلى العالم: «لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ» (لوقا١٩:١٠؛ انظر أيضاً يوحنا٣:١٧؛ ١تيموثاوس١:١٥). لذا فإنه أمر مفهوم ورود عبارات كالخلاص، والمخلص بشكل متكرر كثيراً في العهد الجديد.

علاوة على ذلك، الخلاص هو مصطلح واسع وشامل جداً. فهو يَتضَّمن العديد من المصطلحات الأخرى، مثل التبرير، الفداء، التجديد، الحياة الأبدية وغيرها من التي درسناها سابقاً؛ كل منها يُعرِّف جانباً من جوانب الخلاص. وأيضاً، فإن مفهوم الخلاص كثيراً ما يكون موجوداً في سياقات متعدّدة حيث لم يتم إستخدام كلمة الخلاص نفسها بشكل صريح. وعلى ضوء هذا، فإن دراسة مفهوم «الخلاص» يساعدنا على إجراء مراجعة للأساسيات التي غطيناها في هذا الكتاب.

### دلالاته الواسعة

الفعل اليوناني «يُخلِّص» (sozo) يحمل العديد من الدلالات. فيمكن إستخدامه في إنقاذ شخصٍ من الخطر، أو شفاء شخص من المرض. ونجد في الإنجيل أن يسوع يُنقِذ الناس بطرقٍ وأشكالٍ مختلفة. ففي إستجابته لنداء بطرس: «يَارَبُّ، نَجِّنِي» نجد أن المسيح أنقذه من الغرق (متى١٤:٣٠-٣١). ثم أنه شفى إمرأة كانت تُعاني من المرض لفترة طويلة، «يَا ابْنَةُ، إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ، إِذْهَبِي بِسَلاَمٍ» (لوقا٨:٤٨). وأيضاً أكّد المسيح

لرجلٍ كانت إبنته الوحيدة قد توفيت للتو «لاَ تَخَفْ! آمِنْ فَقَطْ، فَهِيَ تُشْفي»، ثم أنتقل بعد ذلك إلى بيت الرجل وأقام إبنته من الموت (لوقا٨:٤٩-٥٦).

في مكان آخر، نرى المسيح يستخدم مصطلح «خلاص» بالمعنى الأخلاقي والروحي. على سبيل المثال، قال لإمرأة خاطئة كانت قد تابت: «مَغْفُورَةٌ لَكِ خَطَايَاكِ... إِيمَانُكِ قَدْ خَلَّصَكِ، اِذْهَبِي بِسَلاَمٍ» (لوقا٧:٤٨و٥٠). نجد هنا وفي هذا السياق عبارات «ينقذ» و«يخلّص» هي الأكثر إستخداماً في العهد الجديد، والكثير من أعمال المسيح للشفاء الجسدي والنجاة من المرض كانت بمثابة مثال توضيحي للخلاص على المستوى الروحي.

في يوحنا ٩، وعندما منح ربنا يسوع البصر لرجلٍ مولود أعمى، استخدم المسيح هذا الخلاص الجسدي كمثال على قدرته لمنح البصر الروحي للعميان روحياً: وقال يسوع: «لِدَيْنُونَةٍ أَتَيْتُ أَنَا إِلَى هذَا الْعَالَمِ، حَتَّى يُبْصِرَ الَّذِينَ لاَ يُبْصِرُونَ وَيَعْمَى الَّذِينَ يُبْصِرُونَ» (يوحنا٩:٣٩). الخلاص على المستوى الأخلاقي والروحي سيكون في الغالب (وليس الحصر) هو محور اهتمامنا في ما تبقى من هذا الفصل.

**يتحدَّث الكتاب المقدَّس عن الخلاص في ثلاثة أزمنة هي: الماضي والحاضر والمستقبل**

الآن ولأن الخلاص مصطلح شامل يدل على ما فعله الله، ويفعله الآن، وما سيفعله للمؤمن في المستقبل، يتحدث الكتاب عنه من خلال ثلاثة أزمنة هي: الماضي، الحاضر، والمستقبل.

### الخلاص في صيغة الماضي

وفقاً للعهد الجديد، فإن رغبة الله هي أن الجميع يخلصون، وتحقيقاً لهذه الغاية قدّم المسيح نفسه فدية عن جميع البشر (١تيموثاوس٢:٣-٦). فبالتالي الخبر السار هو، أن الخلاص متاح للجميع، إلا أنه يصبح فعّالاً فقط عندما يؤمن الإنسان. وحالما يؤمن الشخص، يمكنه الحديث عن خلاصه بأنه حقيقي. حيث ليس من الضروري القول: «آمل أن يتحقق خلاصي في نهاية المطاف». أي يصبح للمؤمن الحق بالقول مستخدماً الفعل الماضي: «خلاصي تم، بفضل الدم» والعهد الجديد يخاطب المؤمنين: «بالنعمة

أنتم مخلّصون» (أفسس٢:٥). وهذا لا يعني أن المؤمنين قد أختبروا خلاصهم الكامل بالفعل، لأن بعض مراحل هذا الخلاص لا تزال ماثلة في المستقبل. ولكنه يبقى صحيحاً ومؤكداً أن مراحل معينة للخلاص قد وُضِعت حيز التنفيذ وأصبحت مُنجَزةً عند قيام الشخص بالالتزام الشخصي والتكريس الحقيقي للمسيح.

من هذه المراحل:

١. المغفرة: في حالة المرأة الخاطئة المذكورة أعلاه، استخدم المسيح فعل الماضي التام ثلاث مرات متتالية: «قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ... مَغْفُورَةٌ لَكِ خَطَايَاكِ... إِيمَانُكِ قَدْ خَلَّصَكِ، اِذْهَبِي بِسَلاَمٍ» (لوقا٧:٤٧و٤٨و٥٠). وبالمثل، فإن يوحنا الرسول يقول: «أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، لأَنَّهُ قَدْ غُفِرَتْ لَكُمُ الْخَطَايَا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ». (١يوحنا٢:١٢)، وبولس الرسول يقول: «مُسَامِحًا (الله) لَكُمْ جَمِيعِ الْخَطَايَا» (كولوسي٢:١٣).

وتُستَخدَم العديد من الإستعارات في الكتاب المقدس للتأكيد على إكتمال هذا الغفران. فان الله قد أبعد عنا خطايانا:

أ) من نظره: «فَإِنَّكَ طَرَحْتَ وَرَاءَ ظَهْرِكَ كُلَّ خَطَايَايَ»(أشعياء٣٨:١٧)

ب) بعيداً عن المتناول: «كَبُعْدِ الْمَشْرِقِ مِنَ الْمَغْرِبِ أَبْعَدَ عَنَّا مَعَاصِيَنَا» (مزمور١٠٣:١٢).

ج) من الوجود: «أَنَا أَنَا هُوَ الْمَاحِي ذُنُوبَكَ لأَجْلِ نَفْسِي» (أشعياء٤٣:٢٥)

د) ما وراء الإستدعاء: «وَلاَ أَذْكُرُ خَطِيَّتَهُمْ بَعْدُ» (إرميا٣١:٣٤)

هـ) بعيداً عن الإستعادة: «مَنْ هُوَ إِلهٌ مِثْلُكَ غَافِرٌ الإِثْمَ وَصَافِحٌ عَنِ الذَّنْبِ....يَعُودُ يَرْحَمُنَا، يَدُوسُ آثَامَنَا، وَتُطْرَحُ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ جَمِيعُ خَطَايَاهُمْ». (ميخا٧:١٨-١٩).

٢. التجدد والحياة الروحية الجديدة (أنظر الفصل ٧):

أ) «لَا بِأَعْمَال فِي بِرّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ خَلَّصَنَا بِغُسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (تيطس٣:٥).

ب) «الله الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ،

بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ». (أفسس٢:٤-٩).

٣. المصالحة مع الله (زنظر الفصل ٤):

«وَلَيْسَ ذلِكَ فَقَطْ، بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضًا بِاللهِ، بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي نِلْنَا بِهِ الآنَ الْمُصَالَحَةَ» (رومية٥:١١).

## الخلاص في صيغة الحاضر

الخلاص لا يتعلق فقط بماضي الشخص. بل إنه يُؤثِّر في حاضره أيضاً. وخير مثالٍ للبدء هو من قصة زَكّا العشّار (إقرأ قصته في لوقا١٩:١-١٠). عندما جاء الخلاص إلى بيت زَكّا، لم يجلب له الصفح عن الماضي فقط، بل غَيَّر وبشكل جذري أسلوب حياته في الحاضر أيضاً. بدأ ذلك بتفعيل ضميره الإجتماعي. حيث كان قد إنتزع من الناس ضرائب أكثر مما يحق له قانونياً قبلاً، فقرر أن يعيد لهم أربعة أضعاف مما أخذ منهم. بل أكثر من ذلك لم يَعُد مُجرَّد جمع المال لنفسه أمر يمنحه سعادة الإكتفاء، حتى ولو كان ذلك قانونياً، بينما العديد من مواطنيه يعانون من الفقر وعندها قال: «هَا أَنَا يَارَبُّ أُعْطِي نِصْفَ أَمْوَالِي لِلْمَسَاكِينِ».

**إنّ الخلاص لا يتعلّق فقط بماضي الشهص بل إنّهُ يؤثر في حاضره أيضاً**

الإهتمام بأمر الفقراء والمرضى، والمعاقين هو دائماً السمة المميزة للمسيحية الحقيقية. هؤلاء الذين نالوا الخلاص من خلال إنجيل المسيح، أصبحوا تحت واجب والتزام لأن يتصرفوا على هذا النحو في علاقاتهم الحياتية كلها بأن « يُزَيِّنُوا تَعْلِيمَ مُخَلِّصِنَا اللهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ»،، وهكذا يرى الآخرون جاذبية الإنجيل من خلال رؤية تأثيره على أسلوب حياة المؤمنين (تيطس٢:١٠-١٤).

هناك مكان آخر حيث نجد للخلاص تأثيراً مباشراً على حياة المسيحي والأعمال التي يقوم بها قد أوضحها المسيح على النحو التالي: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا». (مرقس٨:٣٥). يساعدنا للبدء في فهم هذا الإعلان، أن نلاحظ أن الكلمة اليونانية المترجمة هنا «نفسه» تحمل طيفاً

واسعاً من المعاني، فهي يمكن أن تعني حياة المرء الجسدية (كما في متى٢:٢٠)، «لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَ الصَّبِيِّ « ويمكن أيضاً أن تكون للدلالة على حياة المرء الداخلية، وهذا ما يجعل الحياة أكثر من مجرد وجود مادي، لتشمل الحب الذي لدى المرء، طاقاته، الفكر، العواطف، القدرات، الرغبات والطموحات (كما في ٣يوحنا٢): «فِي كُلِّ شَيْءٍ أَرُومُ أَنْ تَكُونَ نَاجِحًا وَصَحِيحًا (جسديًا)، كَمَا أَنَّ نَفْسَكَ نَاجِحَةٌ». في كلام ربنا (مرقس٨:٣٥) نرى أنه يحمل كلا الدلالتين على حد سواء، كما سنرى.

ولكن كيف يمكن للمرء أن ينقذ حياته أو روحه، من خلال خسارتها؟ ذلك يبدو متناقضاً. في الواقع أنه من الممكن أن نفهم ذلك فقط إذا كنا نؤمن أن الحياة الحاضرة ليست هي الحياة الوحيدة النهائية فقط بل إن هناك حياة أخرى، وهي ملكوت الله الآتي. كان هذا هو السياق الذي علّم المسيح من خلاله هذا التعليم: «لأَنَّ مَنِ اسْتَحَى بِي وَبِكَلاَمِي فِي هذَا الْجِيلِ الْفَاسِقِ الْخَاطِئِ، فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَسْتَحِي بِهِ مَتَى جَاءَ بِمَجْدِ أَبِيهِ مَعَ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ» (مرقس٨:٣٨).

وقد تنبأ المسيح للتو أن السلطات في أورشليم ستحكم عليه بالموت. وعندها أعلن بطرس قائلاً أن عليهم مشاركته في موته أيضاً، محاولاً إقناع المسيح تجنّب الموت. ولكن المسيح لم يتنازل عن مهمته من أجل إنقاذ حياته الشخصية، بل حذَّر بطرس من محاولة إنقاذ حياته في هذا العالم وذلك من خلال إنكار المسيح، وإذا فعل فإنه قد يفقدها في الحياة الآتية. بطرس، وكما نعلم، فقد أعصابه في نهاية المطاف وأنكر المسيح. ولكن كان هذا مؤقتاً حيث أعاده المسيح من خلال تضرعاته (لوقا٢٢:٣١-٣٤).

ولكن العبرة الباقية لنا، وبإعتراف الجميع، نحن لا نحصل على الخلاص بمجرد أن نكون شهداء من أجل المسيح!. الخلاص هو عطيّة مجانية. ولا يمكننا نيل عطيّة الخلاص بدون المخلّص. «إليك»، يقول الكتاب المقدس، «لأَنَّهُ قَدْ وُهِبَ لَكُمْ لأَجْلِ الْمَسِيحِ لاَ أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا أَنْ تَتَأَلَّمُوا لأَجْلِهِ». (فيلبي١:٢٩). لنفترض إننا سنواجه يوماً هذه الحالة حيث نجد أن علينا الأختيار: إما أن ننكر وننبذ المسيح فتُنقَذ حياتنا المادية في هذا العالم، أو أن نحافظ على إيماننا في المسيح، ونبقى مخلصين له، ومن

**نحن لا نحصل على الخلاص بمجرّد أن نكون شّهداء**

ثم نَفقِد حياتنا في هذا العالم. فلابد أن نكون مستعدين لخسارة حياتنا في هذا العالم، متيقنين من حفظها في الحياة الآتية، في حين أننا، إذا أنقذنا حياتنا في هذا العالم بإنكار المسيح، فسنفقدها في الحياة المقبلة.

بل أكثر من ذلك، فالحياة في هذا العالم ليست شيئاً يمكننا وضعه في صندوق لحفظها. الحياة يجب أن تُعاش: بطاقاتها، أزماتها، وطموحاتها، بالحب، بالقدرات... كلها ستُستَخدم لأجل أشخاص أو أشياء أو مشاريع. ولكن السؤال هو: كيف وعلى ماذا يجب علينا أن ننفق هذه كلها؟

المؤمن مدعو أن يعمل من كل القلب كما للرَّب (كولوسي٣:٢٣) ولتكريس أكبر قدر مستطاع من وقته وطاقته لتعزيز إنجيل المسيح. فهو إذا اتخذ قرار قضاء حياته بهذه الطريقة، عاجلاً أو آجلاً سيشترك بتقديم كل أنواع التضحيات وإنكار الذات.

يبدو للرجل ذو الذهن الدنيوي أن المؤمن هو شخص يضيّع حياته ويرمي بها بعيداً. لكن في الواقع كل شيء يعمله المؤمن للمسيح أو ينفقه لأجل المسيح وعلى ما هو مهم للمسيح، ينطوي على قيمة دائمة وأبدية. وآثارها تدوم إلى الأبد (يوحنا١٢:٢٥).

من ناحية أخرى، وإذا لم يكن المؤمن على استعداد للعيش من أجل المسيح، وإذا قضى وقته، طاقته، محبته، وقدراته بأنانية على نفسه وعلى الأمور الدنيوية والأشياء غير الجديرة وغير ذات القيمة، وليس على ملكوت الله الأبدي، فإن كل ذلك سيضيع ويمضى إلى الأبد. والمسيح عند مجيئه الثاني سيتناول ويفحص أعمال هذا الشخص، وسيتم إحراق أعماله، وهو سيعاني خسارة كبيرة، ولكن مع ذلك فان نفسه ستخلص (١كورنثوس٣:١٠-١٥).

## الخلاص في صيغة المستقبل

بينما المؤمن يستطيع القول وبكل ثقة: «لقد خلصت» لكن لا تزال هناك أجزاء هامة من خلاصه هي ماثلة في المستقبل. لهذا السبب القول بأن للمؤمنين رجاء من جهة هذه الأمور. ليس لأن أجزاء الخلاص هي غير مؤكدة، لكن وبكل بساطة لأنها غير موجودة حالياً في الزمن الحاضر. للمؤمن الحق بالحديث عنها بكل ثقة وتأكيد وبكل تواضع أيضاً، «سأكون مُخلَّصاً» وجوانب الخلاص المستقبلية تتضمّن ما يلي:

١. الخلاص من غضب الله: «فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ الآنَ بِدَمِهِ نَخْلُصُ بِهِ مِنَ

الْغَضَبِ» (رومية٥:٩، وانظر أيضاً ١تسالونيكي٥:٩-١٠).

٢. التحرر من أجسادنا المادية: هذا أيضاً أمر من شأنه أن يأخذ مجراه عند المجيء الثاني للمسيح.

أ) «فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ، الَّتِي مِنْهَا أَيْضًا نَنْتَظِرُ مُخَلِّصًا هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ». (فيلبي٣:٢٠-٢١).

ب) «وَلَيْسَ هكَذَا فَقَطْ، بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ، نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا، مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا. لأَنَّنَا بِالرَّجَاءِ خَلَصْنَا. وَلكِنَّ الرَّجَاءَ الْمَنْظُورَ لَيْسَ رَجَاءً، لأَنَّ مَا يَنْظُرُهُ أَحَدٌ كَيْفَ يَرْجُوهُ أَيْضًا؟ وَلكِنْ إِنْ كُنَّا نَرْجُو مَا لَسْنَا نَنْظُرُهُ فَإِنَّنَا نَتَوَقَّعُهُ بِالصَّبْرِ». (رومية٨:٢٣-٢٥).

١. التقديس المسيحي النهائي (انظر الفصل ١٤):

أ) «مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِمِيرَاثٍ لاَ يَفْنَى وَلاَ يَتَدَنَّسُ وَلاَ يَضْمَحِلُّ، مَحْفُوظٌ فِي السَّمَاوَاتِ لأَجْلِكُمْ» (١بطرس١:٣-٥).

ب) «مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ فِي الْمَجْدِ». (كولوسي٣:٤).

**يتم دخول المؤمنين إلى السماء إمّا بالموت قبل مجيء المسيح أو عند مجيء الرب ثانية**

١. دخول المسيحي المؤمن إلى السماء:

يمكن أن يتم دخول المؤمنين إلى السماء بإحدى الحالتين: إما أولئك الذين يموتون قبل مجيء الرب ثانية، وقيل عنهم « نَتَغَرَّبَ عَنِ الْجَسَدِ وَنَسْتَوْطِنَ عِنْدَ الرَّبِّ». (٢كورنثوس٥:٨) ومع أنه لن تتم قيامةٌ للأجسادِ الماديةِ حتى مجيء الرب، لأنه عند قدوم المسيح ستقوم أجساد هؤلاء المؤمنين الراقدين، أما أجساد المؤمنون الأحياء ستتغيَّر، ويجتمع المؤمنون معاً (أموات وأحياء) لملاقاة الرب في الهواء (١تسالونيكي٤:١٣-١٨)

«هُوَذَا سِرٌّ أَقُولُهُ لَكُمْ: لاَ نَرْقُدُ كُلُّنَا، وَلكِنَّنَا كُلُّنَا نَتَغَيَّرُ، فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ، فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ... وَمَتَى لَبِسَ هذَا الْفَاسِدُ عَدَمَ فَسَادٍ، وَلَبِسَ هذَا الْمَائِتُ عَدَمَ مَوْتٍ، فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ:«ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ» (١كورنثوس١٥:٥١-٥٢و٥٤).

فمن هذا المنطلق يقول الكتاب: «فَإِنَّ خَلاَصَنَا الآنَ أَقْرَبُ مِمَّا كَانَ حِينَ آمَنَّا». (رومية١٣:١١) أقرب، لأنه مع كل يوم يمر فإن المجيء الثاني للمسيح يصبح أكثر قرباً.

إنتهـــى